بسم الله الرحمن الرحيم

(عن حالتي النفسية)

وردني تعليق من أشخاص يتعلّق بحالتي النفسية، أشخاص كلهم يعانون من مشاكل نفسية ظاهرة وعلامتها بيّنة، لكن بغض النظر عن مصدر الكلمة ومدى أهليّته العلمية أو الأخلاقية لإصدار الأحكام، فإن الكلمة بحد ذاتها قد تكون صادقة ونافعة فقد يصدق الكذوب وقد ينفع الجهول. لذلك لن ألتفت إلى مصدر الكلمة، لكن لننظر في الكلمة ذاتها، ففي كل كلمة فائدة بل فوائد إذا نظرنا إليها كفرضية أو منطلق للنظر والتأكد من مدى صدقها ونفعها. مما يعجبني القيام به، افتراض صدق ما يقوله خصومي عنّي، والدفاع عن قولهم كأني محاميهم ضدّي، لأرى إلى أين يمكن أن نصل، مع مراعاة الوقائع والاعتراف بها بقدر السعة والإمكان ومناسبة الحال.

السؤال هو : هل أنا مريض نفسي ؟

من سماعي لبعض من حولي وبعض خصومي أيضاً استطعت أن أجمع ٧ أسباب يدّعون أنها دليل على أني "مريض نفسي" أحتاج إلى علاج. لكن قبل الدخول في هذه السبعة والنظر فيها إن شاء الله، وستكون فرصة أيضاً لذكر بعض الأمور عن سيرتي الذاتية-وقد عرفنا الآن أني أحبّ ذكر سيرتي الذاتية في سياق الردّ على مَن يطعن فيّ لأسباب ذكرت بعضها في مقالات سابقة كمقالتي في الرد على الدكتور المُستَعبَد المُسَعوَد. فلا داعي لذكرها هنا من جديد، أقول قبل الدخول في هذه السبعة لابد من أن نجيب أوّلاً على معنى "مريض نفسي".

ما هو المرض النفسي؟ إذا نظرنا في تعريف كتب الطب النفسي للمرض النفسي، سنجد أوّل ما سنجد أنها تعريفات مشحونة بالعقائد النسبية. يعني التعريف ذاته يدلّ على وجود بُعد ذاتي شخصي يتعلّق بعقائد واضع التعريف عن الوجود والإنسان والمجتمع، عقيدتهم في الكون والإنسان والإله وما يريدونه لمجتمعاتهم هو الأساس والإطار الذي عليه وفي حدوده يتم وضع تعريفات المرض النفسي. كلمات نسبية مثل "اضطراب فوق العادة" (ما هي العادة على نعرف ما هو "فوق العادة"؟ هذا أمر نسبي واختيار شخصي)، ومثل "حالة تؤثر على فعالية الفرد في أسرته ووظيفته الاقتصادية ودراسته" (على هذا، الذي يتخلّى عن أسرته إيماناً

بقضية ما، أو يزهد في الدنيا طلباً للآخرة، أو يرفض النظام التعليمي الحديث لسبعين سبب وسبب، هؤلاء وغيرهم يخالفون النمط الذي يريد واضعوا هذه النظريات من الناس أن يخضعوا له ويعيشوا وفقاً لمعاييرهم)، وعلى هذا القياس. بناء على الرؤية المادية الإلحادية للوجود والطبيعة، فإن الأنبياء كلهم مجانين وموسى الذي سمع كلام الله من النار والشجرة يصبح مهلوساً ومحمد الذي كان ينزل عليه الوحي فيعرق ويثقل يصبح مصروعاً وتخيّله أن كائناً غيره جاء وكلّمه يجعله مصاباً بانفصام شخصية، وهلمّ جرّاً. رؤيتك للوجود ستحدد تعريفك للمرض، لأن المرض ما يخالف النظام الذي تعتقد به. لا يوجد تعريف موضوعي تماماً للمرض النفسي، خلافاً للمرض الجسماني الذي يمكن وضع تعريف موضوعي له لا يختلف عليه شرقي ولا غربي. الجسم حين يشعر بالألم يكون في حالة مرفوضة يُراد تغييرها أو رفعها أو تخفيفها، والألم حقيقة موضوعية بالنسبة للمتألم ويمكن أيضاً أن يظهر لمن ينظر إليه بنحو يعرفه بيقين، كأن تنظر إلى شخص ينزف أو يصرخ بسبب جرح أصابه أو تقيس ضغط دمه فتراه مرتفعاً ونحو ذلك من علامات الألم، أو حين ننظر إلى عضلات لا تعمل بشكل مناسب فنعتبر هذا ضعفاً في الجسم. المرض الجسماني يمكن تعريفه موضوعياً إلى حد كبير أو مطلق ولا يعتمد التعريف على عقيدة مخصوصة فلسفية وميتافيزقية. لكن المرض النفساني يرجع إلى العقيدة الفلسفية لواضع تعريف المرض.

قد يقال: يمكن اعتبار مَن يخالف النمط المعتاد للناس مريضاً نفسياً. أقول: لماذا؟ ولماذا نجعل "النمط المعتاد للناس" هو المعيار الذي يجب أن ينزل إليه العالي ويصعد إليه السافل؟ لماذا لا نقبل وجود العالي والنازل عن هذا النمط المعتاد-على فرض إمكانية معرفة النمط المعتاد طبعاً وقياسه بنحو جلي ومعتبر؟ ثم إن أعظم الناس في كل فن ومجال وعلم وأدب هم أناس يخالفون النمط المعتاد للناس في هذا المجال، لا حياتهم ولا تفكيرهم ولا علاقاتهم بشكل عام تشبه النمط المعتاد لأكثرية الناس، وقراءة بسيطة في سير العلماء والعرفاء والفنانين والأدباء والسياسيين الكبار والرياضيين المتفوقين ونحوهم ستكشف لنا ذلك بجلاء.

نستطيع أحياناً رؤية تغيّر الشيء الواحد من خانة المرض النفسي إلى خانة السلامة النفسية وفي جيل واحد أو جيلين. مثلاً، المثلية الجنسية أو التحوّل الجنسي في زماننا هذا. قبل سبعين سنة أو أقلّ كانت المثلية الجنسية مصنّفة في علم النفس الغربي كمرض، والمثلي يُنصَح بالخضوع لعلاج يتضمّن أحياناً الصعق بالكهرباء، جرّب الآن أن تقترح مثل هذا الاقتراح علناً لترى ردّة الفعل ومن أطباء علم النفس أيضاً بشكل عام. في جيلنا هذا في الطب الغربي صار مَن يقترح بأن المثلية الجنسية مرضاً نفسياً على الهامش، لكن انتقل الصراع إلى شيء آخر هو التحوّل الجنسي، فهل الذي يعتقد بأنه أنثى في جسم ذكر أو العكس

يُعتَبَر مريضاً نفسياً أم لا؟ الصراع اليوم هنا، وستجد الكثير أو لعلهم الأكثرية يميلون إلى أنه ليس مرضاً نفسياً بل الذي يرمي المتحولين الجنسيين بالمرض النفسي سيُعتَبَر هو البغيض أو المريض النفسي. على هذا النمط، نستطيع أن نرى تهمة "مرض نفسي" صارت في زماننا مثل التكفير والزندقة والهرطقة في الأزمنة الماضية التي كان الدين هو الغالب على حياتها الاجتماعية. وكما أن التكفير الديني يعتمد على تعريفك أنت للإيمان أي على رؤيتك الدينية للوجود، كذلك التمريض النفسي يعتمد على تعريفك أنت للصحة أي على رؤيتك الفلسفية للوجود.

هل هذا يعني بأنه لا معنى مطلقاً للمرض النفسي؟ من جهة نعم. ومثال بسيط يكفي لبيان الحال: الاكتئاب. هل الاكتئاب مرض نفسي؟ هذا يعتمد على أمور كثيرة، لا يوجد شيء منها قطعي الثبوت لجميع الناس. بغض الطبيعة وكره الحياة كان ولا يزال هو الأصل الأصيل الذي تقوم عليه الأمم كلها بشكل عام في نظرتها الدينية للوجود، بل عدم الاكتئاب-بدرجة ما طبعاً-كان علامة على خباثة النفس والفرح بالدنيا. ثم حتى إن تجاوزنا هذا المعنى، لا يوجد شيء قاطع يوجب على الإنسان أن لا يكون مكتئباً، نعم قد تكره أنت المكوث مع إنسان مكتئب، قد تكره معاشرته وحتى النظر في وجهه، لكن هذا راجع لك أنت، أما هو فما الذي يوجب عليه أن لا يكره الطبيعة والحياة الاجتماعية إذا كان حتى مؤسس التحليل النفسي يعتبر الحضارة ثمرة من ثمار الكبت للغرائز النفسية الأصلية التي هي أو منها أكل لحم البشر ونكاح المحارم والقتل، ولا تحتاج إلى هذه النظرية لمعرفة مدى الكبت والقلق والبؤس الذي يعيشه أكثر الناس بل كلهم في فترات مختلفة وبدرجات مختلفة بسبب عيشهم في الطبيعة أوّلاً وبسبب عيشهم في المجتمع ثانياً، أنت تعرف ذلك من نفسك. بناء على ذلك، ما الذي يوجب على الإنسان أن لا يكون مكتئباً أو أن يكون الاكتئاب "مرضاً" يحتاج إلى علاج؟ علاج بماذا؟ العلاج الوحيد الجذري للاكتئاب هو تغيير حالة الطبيعة (وهذا مستحيل)، أو تغيير ضرورات المجتمع (وهذا أيضاً مستحيل)، أقصد التغيير الجوهري. نعم يمكن القيام ببعض التعديلات هنا وهناك، والتخفيف من حدة بعض الأمور هناك وهناك، لكن حتى هذا لا ندري هل يصل إلى أكثر الناس، فماذا عن القلّة القليلة التي لن يصل إليها نفع التغييرات الطبيعية والاجتماعية، هذه لابد أن تُصاب بشيء من الاكتئاب. ثم سندخل في ما مدى حدّة الاكتئاب المعتبرة؟ لأننا إذا نظرنا في كتب الطب النفسي سنجد أن "درجة" الاكتئاب أو الاضطراب ضرورية لاعتبار الحالة "مرضاً نفسياً"، بمعنى أن مجرّد وجود الشعور لا يكفي بل لابد من وجود "درجة" معينة من هذا الشعور حينها يتم اعتباره مرضاً. حسناً. ما هي هذه الدرجة ومَن يحددها؟ بل قبل ذلك، هذا بحد ذاته اعتراف بأن الشعور الأصلي قد يوجد في كل إنسان أو

عدد هائل من الناس، لكن تم تجاوز ذلك لا أدري لماذا ولعله الصعوبة اللوجستية للتعامل مع هذا العدد الهائل من الناس إن تم اعتبارهم كلهم مرضى نفسيين، فتم إدخال قيد " درجة" الشعور للحكم بالمرض، فلاحظ النسبية والتحكّم واختيار بعض الناس لمعايير يتم على أساسها الحكم بالمرض النفسي على إنسان.

مثال آخر، يُحكَم على بعض الصبيان بأن لديهم بُطأً في الفهم أو عدم التركيز في المدرسة. طبعاً لا يتم الحكم على النظام الذي يوجب على كل إنسان أن يكون "سريعاً" في الفهم أو حتى محتاجاً ل"الفهم" الذي يطلبه هذا المجتمع الحديث وهو "فهم" لم يفهمه أجدادنا منذ أن كانوا يلاعبون القرود في أدغال أفريقيا إلى قبل بضعة قرون على الأكثر، ولا يتم الحكم على المدرسة بأنها فاشلة أو نظامها غير طبيعي وغير ملائم للإنسان أو بأنها موضوعة للتمييز الطبقي وصنع طبقة عاملة مستعبدة بإرادتها بجعلها تبدو "فاشلة" في الدراسة الموضوع منهجها بنحو يفرض هذا "الفشل" (اقرأ تاريخ صنع المدارس الحديثة لتعرف مدى قوّة هذا التفسير)، كل هذا لا يتم التعامل معه، بل يتم التركيز على الصبي المسكين الذي يُراد منه أن يكون بودا صغير في التركيز أو الاهتمام بما لا يهتمّ به ولا يجد له قيمة بالجبر.

على هذا النمط، إذا نظرنا في كل حالة يتم تشخيصها بأنها "مرض" سنجد فيها رؤية واضع التعريف الفلسفية واختياراته الأخلاقية. فلا يوجد شيء منها بشكل عام يمكن أن يكون حكماً مطلقاً أو موضوعياً كالمرض الجسماني. فلا توجد "واقعية" مطلقة للمرض النفسي، بل هي نسبية شخصية تحكمية مبنية على هوى واضع المرض. فالطبيب النفسي هو الذي يختلق المرض النفسي.

الطب النفسي الحديث في كثير من جوانبه خصوصاً المهم منها كهنوت معاصر، له مؤسسات وعقائد وكهنة وأحكام بالتكفير وفرض للأدوية. تماماً كما كانوا يفعلون قديماً في العصور الوسطى، لكن بأسماء أخرى.

الواقع أن النفس الإنسانية أوسع وأكبر وأعمق وأكثر حرية مما يعجب كهنة الطب النفسي الغربي المعاصر. وتفسير ظواهر النفس الإنسانية أمر يعجزون عنه ويريدون فرض قوالبهم على النفوس، مع وضع "علاج" لكل نفس تخالف القوالب التي اختلقوها.

أستطيع تفهّم موقف ملحد حداثي حين يقبل الفلسفة النفسانية هذه، لكن ما أنكره أشدّ الإنكار أن يأتي أشخاص يزعمون أنهم يؤمنون بالأديان التقليدية كالإسلام والمسيحية واليهودية والبودية ونحوها ومع ذلك يعتقدون بتلك الفلسفات المتلبّسة زوراً ثوب العلم الطبيعي الموضوعي والآن يعملون أيضاً على التلبّس زوراً بثوب المعادلات الكمّية الرياضية تقليداً لنمط

دراسة الفيزياء والكيمياء والأحياء الطبيعية. المؤمن بالأديان التقليدية إن اعتقد فعلاً بفكرة " المرض النفسي" الحداثية، فإنه يكشف عن جهله أو تجاهله للتناقض الجذري ما بين النظرتين والاختلاف الشاسع الجوهري ما بين الطريقتين. كل أنبياء وعرفاء الأديان مجانين ومرضى نفسيين إن اعتقدنا بالنظرية النفسانية الحديثة أيا كان لونها. اذهب الآن وجرّب. اذهب إلى طبيب نفساني حداثي وقل له "أشعر بانقباض شديد عن الناس حتى صرت أفضّل اعتزال المجتمع كلّه وأحبس نفسي في مغارة صغيرة داخل جبل بعيد عن البلد لأيام طويلة، وآكل القليل فقط، وأنام في الظلام وحدي، وأتكلّم فيها مع كائن لا أراه. وبعد فترة من قيامي بذلك ظهر أمامي كائن غيري وقال لي بأني أهمّ إنسان في العالَم. وبعد فترة لما غاب عنّي هذا الكائن المغاير لي شعرت برغبة في الانتحار وكنت سألقي نفسي من فوق الجبل" ونحو ذلك، ثم جرّب ماذا سيحصل لك وماذا سيقول لك، طبعاً أخبر أهلك قبل القيام بهذه التجربة لأنه يوجد احتمال كبير أن يقبض عليك ويضعك في مستشفى الأمراض النفسية بالإكراه لأنك خطر على نفسك والآخرين. كل الأديان جنون وهلوسات إن اعتقدنا بالطب النفسي الحديث. نعم، قد تجد شواذ في الطب النفسي الحداثي لا يعتبرون الأديان جنوناً ومرضاً وهلوسة، لكن حتى هؤلاء ستجدهم على الأغلب من جهة يعتقدون بالأديان نظرياً داخل أذهانهم لكن لو رأوا متديناً فعلياً ومظهراً واقعياً في زمانهم سينكرونه ويرمونه بالمرض، ومن جهة أخرى ستجدهم يقبلون بعض ما في بعض الأديان وينكرون الكثير جداً منها ومما فيها. أقلّ ما يقال إذن، هو أنه على المؤمن بالأديان التحرّز من التسرّع في رمي كل ما لا يفهمه بأنه مرض نفسي. هذا لمن يريد الاتساق في فكره وعمله طبعاً.

نقطة أخيرة قبل الدخول في الاتهامات السبعة إن شاء الله: الحكم على شخص بأنه مريض نفسي لابد له من فحص طبيب مختص، أقصد بحسب الطب النفساني الحداثي والذي على أساسه وردتني التعليقات التي أشرت إليها. كما أن الحكم على إنسان بأنه مجرم يحتاج إلى فحص طويل وحكم قضائي من قاضي مختص، كذلك الحكم على إنسان بأنه مريض نفسي يحتاج إلى مثل ذلك. فالأمر ليس هيّناً، ومجرّد الشتم ب"مريض نفسي" بدلاً من "يا كلب، يا حمار" التقليدية، لا ينفع في إظهار الشاتم كعاقل أو متزن بل يجعله...حماراً بامتياز.

الآن، تعالوا ننظر في أسباب اتهامي بالمرض النفسي. بالنسبة لأهل القرءان الذين قد يسألون عن سبب اهتمامي حتى بالجواب عن مثل هذه التهم، أقول: قد رموا نبينا والأنبياء بالجنون وهي سنّة من سنن الظالمين وحزب الشيطان، وقد ردّ الأنبياء ذلك من قبيل "يا قوم ليس بي

ضلالة" و "يا قوم ليس بي سفاهة"، و"قالوا مجنون وازدجر" فرد عليهم "إن تسخروا منّا فإنا نسخر منكم كما تسخرون"، وقال عن سنّة من سنن المجرمين بأنهم كلما جاءهم رسول قالوا عنه "ساحر أو مجنون. أتواصوا به بل هم قوم طاغون". وأريد هنا أن أبيّن مظهراً لهذه الآية تجلّى بي وفي خصومي المعاصرين. فإنه لا يجوز لمؤمن بالله وكتابه أن يترك لحزب الشيطان أي ادعاء بالتمسك بالعلم والعقل، فإن العلم والعقل من شأننا نحن حزب الله وليس من شأن حزب الشيطان. فلابد أن نعينهم أيضاً على معرفة طغيانهم، لعلهم يهتدون ويتوبون. حين ننظر في ادعاءاتهم ثم نبيّن ضعفها أو بطلانها، فإننا بذلك ليس فقط نردّ بالحق ونقذف بالحق على الباطل وهو عمل صالح بحد ذاته، بل نعين مَن يسمع مثل هذه الدعاوى على عدم الزيغ بسببها أو عدم الاعتقاد بأنه توجد حجّة لخصوم أهل الله في كل زمان ومكان.

على ذلك، بسم الله.

**القائمة كالتالي. أذكرها هنا سرداً، ثم نعلّق تحت كل واحدة إن شاء الله بحسب الحال:-

١- (هجرك لأهلك تقليد لأبيك حين هجرك في صغرك)
٢- (عندك انفصام - ثنائي القطبين : لأنك تدعي الرسالة)
٣- (لا تحب الاعتراف بالحقيقة)
٤- (لا تتأثر سلبياً حين يضحك عليك الناس بسبب كلامك)
٥- (تتوهم مطاردة الناس لك واضطهادهم لك)
٦- (لا تبالي بالتخلي عن عائلتك وأصحابك ووطنك)
٧- (عندك انفجارات غضب غير مُبررة)

**النقاش :-

١-(هجرك لأهلك تقليد لأبيك حين هجرك في صغرك)

الجواب: لا علاقة حقيقية بين الأمرين.

لا في صغري ولا في كبري، هجرني أبي أو هجرني أي أحد. نعم، حصل انفصال ما بين أبي وأمّي ثلاث مرّات، في الأولى منها ولا أزال أذكرها حين كنت لعلي ما دون الرابعة، جلس أبي في طرف وأمي في طرف وخيّرونا (ثلاثة إخوة) ما بينهما، وكنّا في الرياض حينها على ما أذكر وكانت أمي ستذهب إلى حلب بعد الانفصال، ولم أعلم بكل هذه التفاصيل، وكل

ما وجدته حين خرجت، والصورة لا تزال في ذهني لسبب ما، هو والدي جالس في الطرف الأيمن ووراءه أخوي الأكبر منّي الاثنين قد اختارا البقاء معه، فجئت أنا واخترت أمّي. وهذه كانت عادتي. وأنا أعلم هذا وأشعر به ولا يوجد فيه أي عنصر "لاشعوري" يتحكم فيّ، حتى إني أتحدّث كثيراً عن هذا الأمر وأعتبره من النعم الإلهية عليّ. يعني أني أشعر بعداوة تجاه أبي، بل بالعكس هو من أحسن أصحابي وليس فقط أبي. وفعلاً ذهبت مع أمّي إلى حلب وجلسنا فترة ثم تصالحا فرجعنا إلى جدة. وفي الانفصال الثاني كنّا أكبر سنّاً، لعلي كنت في المتوسطة، لكن مع ذلك بقيت علاقتي بأبي قائمة وحسنة بشكل عام، وحين بدأت أرى كيفية معاملة الكثير من الآباء لأبنائهم عرفت أن علاقتي بأبي وعلاقته بي وبنا عموماً كانت فوق المعتاد في الحسن والصداقة والحرية، ولا زلت أشكر ذلك له ولأمي وأقول-مازحاً-بأن شدّة حريّتي راجعة إلى سوء تربيتهما لي، فقد ربّوني على أن أكون فرداً متحرراً أختار لنفسي ما أشاء، فهم السبب في هجرتي إلى أمريكا وعدم تحمّلي كبت نفسي من أجل إرضاء أي سافل أعرابي ولا غيره في أي مكان. تتحكم العواطف اللاشعورية في الإنسان الذي لا يراجع نفسه ويراقب أفكاره وخواطره ويدرس تاريخه الشخصي، وهذا أمر لا يمكن اتهامي به لأنه لا يكاد يمرّ يوم بدون أن أقوم بذلك مرّات كثيرة وليس مرة واحدة، وبعمق أيضاً. فأنا أعلم وأسأل وأتأمل في تاريخي الشخصي والعائلي، وكلما كبرت وخصوصاً بعدما تزوجت، صرت أقول-وقد كتبت عن هذا سابقاً-حتى قلت لأبي ذلك ولأمي، "قبل أن أتزوج كنت أسأل نفسي كيف يحصل الطلاق، وبعدما تزوجت صرت أسأل نفسي كيف لا يحصل الطلاق". صرت أكثر تفهماً لكثير من الحوادث العائلية، وأراعي جوانبها المختلفة وأرى المعاذير الكثيرة لكل الأطراف. نعم، حتى الجوانب التي لم أرى فيها عذراً لبعض الأطراف من جهة، وجدت بكل بساطة-وهو اكتشاف عظيم-أن والديّ ليسا من الآلهة ولا المعصومين ولا الكاملين، كما أني أنا لست كذلك ولا أي أحد آخر، من العقائد الطفولية التي نشأنا عليها اعتبار الوالدين شبه مقدّسين وأفعالهما لابد من أن تكون غاية في الكمال، ومع الوقت صرت أكثر تواضعاً في هذا الجانب وتفهمت الكثير وقبلت الكثير مما كان يزعجني. نعم، جاءت فترة انقطع فيها عنّا والدي، خصوصاً بعد الطلاق الثاني، لكن حتى قبل الطلاق كان كثيراً ما يكون مشغولاً بالعمل وأنا وإخوتي مشغولين باللهو واللعب مع الأصحاب والخروج من المنزل كثيراً فلم نشعر كثيراً بذلك. كنت أشعر أحياناً بفقدانه كشعور أي صبي، لكن على ما أذكر أن أهمّ فترات هذا الشعور كانت وهو معنا في البيت ما قبل الطلاق الثاني تحديداً، أي الفقدان بسبب مشاغل العمل، لكن لم يكن شيئاً مؤثراً جداً لأني كنت كثير الأصحاب كثير الاشتغال باللهو بأصنافه معهم ولا يكاد يخلو يوم من ذلك داخل المدرسة وبعدها. وحين كانا متزوجين، كان والدي كثير

المكوث في البيت أو الجلوس معنا خصوصاً ما بين الطلاق الثاني والثالث، وحتى قبل ذلك كانت جلساتنا معه بالساعات نتحاور فيها عن كل شيء ونضحك كثيراً، وكانت ولا زالت هذه من ميّزات جلساتنا العائلية، وهكذا كان الحال في البيت وخارج البيت. وأهمّ أمر كان من نعم الله عليّ الكبيرة والشكر لوالدي، هو أني لم أشهد ولا مرّة واحدة عنفاً أسرياً، لا بين والديّ ولا هم معنا، وأكاد أستطيع تعداد المرّات التي رأيت فيها والدي غاضباً حقاً على يد واحدة بل على إصبعين، وفي كلّها غضب عليّ أنا-في ثلاثة وثلاثين سنة-لعلها ثلاث مرّات وكلها حصل التراضي بعدها بشكل فوري تقريباً لا يبلغ بضع ساعات، وحين أقول غضب أقصد غضبه هو في نفسه مع قول بضعة كلمات ولا شيء منها يجرح النفس، اللهم إلا مرّة واحدة فلتت كلمة منه تتعلّق بشدّة تعلّقي بالدين وهي كلمة سمعت مثلها من أحد إخوتي أيضاً في لحظة غضب حصل تراجع بعدها من الطرفين ومن الغرباء إلى يومي هذا، فليست شيئاً مخصوصاً به. (الكلمة بالمناسبة، "مجنون". سنّة من سنن المرسلين أن يُقال لحملة الرسالة "مجنون"، فقد اعتبرت ولا أزلت أعتبر مثل هذه الكلمة وأختها "ساحر، مشعوذ" من مدائح الناس لي). إذن، على العكس تماماً، مَن ينظر في عائلتي والترابط الذي بينها سيجد أننا كنّا فوق المعتاد في الحسن وإما في المعتاد. ولا يوجد أي تأثير سلبي قهري لاشعوري عليّ بسبب ذلك بل أرى طفولتي ونشأتي نعمة كبيرة عليّ من كل وجه. وبالمناسبة، رأيي كان ولا يزال هو أن فترات غياب الأب عن البيت هي من النعم الكبيرة على الرجال تحديداً لأنها تتركهم يكونون شخصياتهم الخاصة بهم، لا أقلّ هذه تجربتي، بينما لو كان في البيت دائماً أب قاهر متسلط فسنجد مثل ما وجدته في الكثير جداً من معارفي ممن كان هذا حالهم، وهو شباب أشباه مسوخ بلا جرأة ولا عقل مستقل وعندهم خوف من أرباب السلطة لأن الطاغية الأول الذي اعتادوا عليه وخضعوا له هو والدهم. من أعظم أسباب دعائي لوالدي بالعافية والرحمة هو أنه لم يكن طاغية، بل كان يبغّض الطغاة إليّ ولم أجده يوماً يمدح طاغية أو يعظّم إنساناً تعظيماً يمسح شخصيته وفرادته. هذه وحدها كافية لتجعلني أحبّه إلى الأبد، ولا أبالي بكل ما حصل من أمور سلبية عرضية.

ثم لا يزال أصحابي المقربين منّي حين يعرفون ويرون تعاملي مع والدي لا يكادون يصدّقون أنهم أتحدّث مع والدي، وهنا أتكلّم عن القليل الذين لهم علاقات عادية متوسطة الحسن مع والدهم، وأما غيرهم فيكاد يرميني أنا ووالدي بالجنون حين يجد مدى الصداقة التي بيننا بشكل عام، والاستثناء قليل جداً وأنا أعرف سببه، وحتى الاستثناء مثل أو أحسن من النمط المعتاد للعلاقة ما بين الوالدين في العالَم العربي.

أما عن قضية هجر الأهل، اللطيف في الأمر أن التي بدأت هذه المقالة التي افتتحت بها هي امرأة تسببت مباشرة وغير مباشرة بالطلاق الذي حصل بيني وبينها. أنا لم أترك البلد إلا بعدما تطلّقنا، وقد صبرت أنا على الزواج الذي كنت لا أجد فيه ما أريده (لعلي أذكر بعض ذلك لاحقاً إن شاء الله) تقريباً ثلاث سنوات، صبر لم أعطي مثله لأحد، ومع ذلك طلبت هي من طرفها الطلاق ثلاث مرّات، وفي المرّة الأولى والثانية كنت أنا سبب الإصلاح وقلت بأن الثالثة لن أصبر عليها، وفعلاً جاءت في الثالثة وطلبت الطلاق (وفي يوم عيد ميلادي بالمناسبة، في عيد الاستقلال الأمريكي!)، فأعطيتها ما أرادت لأني صبرت بما فيه الكفاية مع الإنذار المتكرر. حين حصل الطلاق، لم أعد مقيّداً لا شرعاً ولا قانوناً بها، فقررت الخروج لإتمام عملي الجوهري الذي لم أجد مساندة جذرية حقيقية عليه من أحد في تلك البلاد بل وجدت العكس أحياناً، والقليل الذي وجدته من المساندة كان سطحياً للتسكيت وكأن ما أقوم به من عمل الكتابة والدعوة هو نوع من الهواية كالتزلج أو تسلّق الجبال وليس قضية مصيرية وباعث ضمير. والسبب الأكبر لهجرتي من البلد لا يرجع في الحقيقة لا لي ولا إلى أهلي السابقين ولا إلى أي أحد باستثناء فئة واحدة هي الحكومة السعودية الطاغية، فقط لا غير، مع فئات كبيرة من المجتمع المتطرف مثلها والتابع لها، فقد كان ولا يزال نشر ما أكتبه في تلك البلاد هو نوع من الانتحار بيد الحكومة أو بيد المجتمع على فرض أن الحكومة لم تفعل شيئاً (وهذا مستحيل طبعاً، فإن مَن قال قطرة من البحر الذي كتبته وقلته لا يكاد أهله يعرفون في أي السجون هو الآن، ولعله هو نفسه لا يعرف في أي السجون يمكث ولا ما هو تاريخ اليوم ولا الوقت الآن ليل أم نهار، ولعله أيضاً لا يحتاج إلى قصّ أظافره يوم الجمعة لأنه لم تعد له أظافر). فبدلاً من توجيه سبب هجرتي إلى علاقتي بوالدي، أو عقدني النفسية، وهذا كله كلام فارغ كما أشرت ويوجد الكثير مما يمكن أن يُقال لكن لعلي أكتبه في وقت لاحق إن شاء الله تزيد وضوح ما وضّحته، فيجب إرجاع الأمر إلى سببه الحقيقي وهو الطغيان الحكومي والاجتماعي، وهو أمر بات معروفاً في مشارق الأرض ومغاربها بفضل الطاغية الحالي ومغامراته الخرائية.

وأمّا أبي، فلم يسافر خارج البلد يوماً لأنه كتب كتباً يريد نشرها وله دعوة يريد إعلانها ولا يملك حرية الدين والتعبير داخل الحجاز لقولها فاضطر إلى الهجرة. لا توجد له سفرة واحدة متعلقة بمثل هذا الأمر، ولا واحدة. ولا أحتاج هنا إلى توضيح أكثير من ذلك، لكن الأقارب يعرفون جيداً صدق ما أشرت إليه.

وأنا كما تعلم ذلك حتى الخادمات في بيوتنا، رجل كما نقول "بيتوتي"، أحب الجلوس في البيت ومع العائلة وأعتبر عائلتي وحتى زوجتي قبل ذلك هم أصحابي ومَن أستمتع بقضاء الوقت معهم. فلم يكن لي يوماً باعث على ترك العائلة والنفرة من الأهل والأقارب، رغبة في

الاستقلال عنهم وشعوراً بالضجر من وجودهم. بل العكس تماماً. كنت أصبر وأصابر على البقاء مع العائلة وجذب أطرافها، والاستمتاع داخل البيت ومع الأسرة. لا يوجد في نفسي دافع على "هجر الأهل" مطلقاً، بل إن كان داخلي شيئاً فهو العكس تماماً. ومَن يعرفني معرفة معاشرة يعرف صدق هذا الأمر وأبعاده. ويكفي أنني صبرت على زواج لم أستطع إصلاحه أكثر من ثلاث سنوات، هذا بالرغم من أني كنت أحدّث نفسي بالطلاق وأتحدث مع بعض الأقارب عن ذلك منذ السنة الأولى، بل للدقة قبل يوم كتب الكتاب كنت على وشك إنهاء العلاقة بسبب شعوري بشيء تبيّن أنه شعور صادق تماماً ووجدت هذا الشيء خلال سنوات الزواج وحتى بعدها، بالرغم من كل محاولاتي لتكذيب ذلك الشعور والعمل بخلاف مقتضاه ووضع الأمل ومع الأمل الدعاء بتغيير الحال للأحسن، لكن "الطبع غلب التطبّع".

نعم، أنا شخص ومنذ الصغر أقدّم عملي وشغفي على كل شيء حتى على صحّتي إن احتاج الأمر. لم أزل كذلك ولا زلت إلى حد ما وإن كنت أحاول الآن الاعتدال في هذا الجانب لأنه مع كبر السنّ تتغيّر الأمور وقابلية الجسم على التحمّل فأريد من الآن وضع سنن معتدلة لنفسي. حين أضع في نفسي عملاً أريد إتقانه والاستغراق فيه وبلوغ درجة عالية منه. أذكر أني في الابتدائية كنت أحبّ جمع مسدسات خرز للعب مع الأصحاب، كان من أحب الأفلام إليّ فيلم "دسبرادو" لأنتونيو بانديرز الذي يحمل في حقيبة غيتاره مسدسات، واستهواني ذلك، فصرت أجمع المسدسات وأشتريها بدرجة كبيرة. ثم تجاوزت ذلك. ثم دخلت في المتوسطة في هوى جديد وهو اللعب على الكمبيوتر لعبة جماعية اشتهرت حينها تشبه ما يلعبه بعض الناس اليوم، حتى صرت أجلس على الجهاز أحياناً الساعات الطويلة حتى أتقنتها، مع بقاء الاشتغالات الأخرى في الحياة طبعاً كالرياضة والصحبة. ثم تجاوز ذلك وحين دخلت الثانوية استهواني العزف على الغيتار ولعب الحديد، فاشتغلت بذلك حتى وصلت درجة جيدة فيه وفي فترة قياسية وبدون أخذ أي منشطات هرمونية ومع ذلك زاد وزني من ٦٩ إلى ٩٠ كيلوغرام في سنة وزيادة مع انضباط شديد في الطعام والتمرين. ثم تجاوزت ذلك وأدخلني الله الطريق بغتة وأصلح أمري في ليلة من صيف سن السابعة عشرة، فصار همّي المدرسة وأردت أن أكون الأول فيها (وقد حصل، الأول مكرر، في قصّة ذكرتها من قبل في بعض كتبي)، والمسجد والخلوة والمكتبة في البيت، وجذبني إليه وملأ قلبي بدافع معرفته، ومن هنا فتح لي باباً لا يوجد له حد في الصعود ولا يوجد ما هو أحسن منه لأشتغل به إلى الأبد. ومن هذه النقطة حصل لي تغيّر نفسي جذري، شهدته في نفسي وشهده من حولي. كان أوّل خروجي من الخلوة، خروجاً جزئياً، هو لتأكيد ما فُتح لي في الخلوة فخرجت بهذا القدر وتأكد لي الأمر بحمد الله، ثم خرجت خروجاً ثانياً تدريجياً حين عرفت أهمّية طلب المعاش باستقلال لحفظ كرامة النفس

واستقلال التديّن وشرف القرءان فيّ، ثم خرجت خروجاً ثالثاً حين تبيّن لي وجوب الهجرة للبيان وفي أثناء البحث عن وسائل الخروج (إذ لم أكن أعرف شيئاً معتبراً لا عن أمريكا ولا غيرها يجعلني أطمئن إلى الخروج إليه) وفي أثناء ذلك البحث تزوجت وبنية الخروج بعدها وكانت نيتي معلنة، لكن حصل ما حصل وافترقت الطرق، وكان الخيار أمامي هو إما الأهل والمال وإما الله وديني، فاخترت الله وديني على أهلي ومالي. والذي أوجب عليّ هذا الخيار ليس إلا الطغيان القائم في الحجاز. وإلا فلم أكن أرغب بالخروج لولا إرادتي منع نفسي من القتل وحمايتها حتى أفرغ من نشر كل ما جاءني إلى هذا الحد وما كتبه الله لي وللناس عبري إلى أن يأتي أجلي بإذن الله وفضله، فكان من صلب تكليفي الخروج إلى بلد قال لي بعض المشايخ (نعم، مشايخ تقليديين وصوفيين سنيين أيضاً) بأنه يجب عليّ الخروج إلى بلد فيها حرية فكرية وحماية فكرية وبشّرني قبل الخروج بسنة وقال لي "ستخرج بعد سنة من الآن" وفعلاً وسبحان الله وقد كان بالإمكان أن تأتي أمور كثيرة تجعلني أخرج قبلها أو بعدها أو لا أخرج أبداً، أسباب كثيرة جداً، لكن حصل ما بشّرني الله به عبره (وقد كنت سألت الله قبل لقائه، وهو رجل أعتقد فيه الصلاح، أن يتكلّم معي على لسانه)، وبعد سنة تماماً حصلت أمور كثيرة وتيسّرت أشياء كانت متعسرة وانفتحت أمور كانت مستغلقة ولا يوجد منها شيء إلا وكان بالإمكان أن يستمر على ما هو عليه أو كان من الممكن أن يتغيّر قبل ذلك الوقت، لكن حصل ما حصل وبعد سنة تماماً خرجت. يظن بعض من لا يعرفني جيداً، حتى من الأقارب، أني شخص على قول أبي لهب في النبي "أهذي من أمّ رأسي"، وأني شديد الاعتداد بنفسي إلى حد لا أرى لأحد معي قولاً، وهذا يكذّبه طبعاً مجرّد النظر في كتبي وفي مكتبتي وفي كيفية بحثي وتعظيمي لأولياء الله والشيوخ التقليديين في زمني، بل إني لأجد احتراماً في قلبي لكل مسلم متدين ولو كان وهابياً (نعم، حتى السفلة هؤلاء حين أقابل أحدهم وأواجهه أراعي فيه إظهاره لشيء من مظاهر التدين وبعض الألفاظ التي يطلقونها. نعم، نعم، أعلم أني "رومانسي" بزيادة، لكن ماذا أفعل، لا حيلة لي مع قلبي). وقد أراني الله من أوليائه في جدة ومكة والقاهرة وحلب، رجالاً ونساء، كلهم أيّدوا بوجه أو بآخر ما أنا عليه، هذا فضلاً عن رجال الغيب ولقاء الخضر وقبل ذلك لقاء النبي وابن عربي والرومي، بل قبل كل هؤلاء لقاء الله تعالى وسماع كلامه منه وقراءته القرءان عليّ (وهي من أول ما وقع لي وقد حدّثت بها أحد شيوخ الشناقطة المعروفين في الحجاز، وأخبرني بتأويلها فقرأ عليّ آية "فإذا قرأناه فاتّبع قرآنه" من سورة القيامة، وهذا ما حصل ولا يزال بحمد الله أني متّبع للقرءان ونوره وروحه ومتعلّق بكلماته ليل نهار ولا أجد طعماً للحياة بدون اتباع القرءان، بل لا أجد حتى روح الحياة بدونه). إذن، السبب الذي جعلني أصلاً أهتمّ بإيجاد أسرة ونحو ذلك لم يكن إلا باعثاً دينياً، فلولا الدين لما

عملت أسرة أصلاً، ويعرف عنّي هذا من لهم علاقة بالأمر جيداً فلم يكن في الأمر أي سرّ ولا كتم بل كل شيء على المكشوف، نعم بعض التفاصيل كنت مضطر إلى حجبها لعدم وجود الثقة ببعض الأطراف بعد، وعدم الثقة راجع أيضاً إلى الطغيان القائم، ثم هذه التفاصيل تم كشف الجوهري منها عن قريب ومع ذلك استمرّت العلاقة فترة، ثم وجب عليّ الاختيار المصيري، واخترت ربي وديني. إذا كان الباعث على الاهتمام بالأهل عندي هو باعث ديني في الأصل، فكيف أقدّم الأهل على ديني، ولو كنت من هذا الصنف لما اهتممت بهم من البدء ولما أقمت أي علاقة.

حين أراجع سبب خروجي من الخلوة الأصلية، وجدته يرجع إلى ثلاثة أسباب، الأول، التأكد من أمر فُتح لي في الخلوة (وهو استمرار فيضان النور حتى إن كنت في جلوة بل وفي لهو صوري، إذ قلت "لو كان من عند الله لما انقطع"، فأردت التأكد من هذا الأمر)، الثاني، طلب المعاش، الثالث الهجرة لنشر كتبي وإعلان طريقتي التي علمني إياها ربّي. كما ترى، فرديتي شديدة، والناس عندي بعد ذلك إما إنسان يسير معي على طريقي وأنفعه وينفعني في أمر معيشتي وإما إنسان لا أربط به نفسي. "جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة". " يوم يفرّ المرء" من أهله أجمعين. هذه الآيات ونحوها كانت ولا زالت راسخة في قلبي. فأنا لا أضحي بديني من أجل أحد. يُقال مجنون أو يقال أي شيء، لا أستغني عن ديني لإرضاء إنسان. وكل ديني أستطيع ممارسته في الأرض، إلا جانب البيان الحر لكل ما يأتيني والاجتماع السلمي مع أصحابي ومَن يريدني علناً، فهذا يحتاج إلى دولة خاصة تحفظ وتعظّم حرية الكلام والدين وحق التجمع السلمي. ومن المعلوم للكافّة أن هذا غير متوفر في الحجاز اليوم، فخرجت إلى أحسن بلد وجدت فيها توفره. هذا هو السبب لا غير لهجرتي. ولو تغيّر الأمر في الحجاز وصار آمناً للأحرار من المتكلمين والمتدينين والمتجمعين، لعدت غداً بل اليوم. لكنه ليس آمناً، بل تحت الطغيان السعودي اليوم خصوصاً صار الوضع أسوأ مما كان عليه. فلا تقل لي لا عقدة أب ولا عقدة أم، العقدة الكبرى في حياتنا في الحجاز هي عقدة الطغيان السعودي. فلا تنسب الأمر إلى النفسية لأنك خائف من نسبته إلى أسبابه السياسية.

...-...

٢- (عندك انفصام - ثنائي القطبين : لأنك تدعي الرسالة)

ربط جميع الأحوال الذهنية والسلوكية بأمر سلبي بسبب الدين هو أمر قديم ومعروف، "يأيها الذي نُزِّل عليه الذكر إنك لمجنون" وهو أمر يبدو أن القوم الطاغين يتواصون به. مدار هذا

الربط هو اختلاف عقلية المؤمن بالله والغيب والآخرة والروح عن عقلية الملحد أو المُعتَقِد. نعم المُعتَقِد لا يصحّ اقترانه بالمؤمن بل بالملحد، فإن المُعتقد بينه وبين الملحد ألفاظ وقشور عادةً وشيء من بقايا ظلال اللباب في أحسن الأحوال. فحين يرمي ملحد رسولاً أو عالِماً بالله أو عارفاً بالجنون والاختلالات العقلية المختلفة فهذا مفهوم، لكن الذين يقولون ذلك عنّي ليسوا-لا أقلّ على حد علمي-من الملاحدة تصريحاً، لكنهم ممن يعتقد بالإسلام ويريد دخول الجنّة بعد الموت ويصلّي ويصوم (من أهمّ من قال لي ذلك شخص أحياناً يترك الصلاة إن غضب أو اكتأب، فيبدو أن للصلاة عنده شرطاً لم ندرسه في أحكام الشريعة وهو صحة المزاج) أن يتم ربط ادعاء الرسالة-على فرض صحّة ذلك-بالاختلال العقلي، فقط من حيث ادعاء الرسالة، هذا ما أنكره لأنه بنفس التفكير يمكن القول-وقد قيل-بأن رسولنا محمد أيضاً مصروع أو مجنون أو مختلّ أو لديه الخلل المسمّى ثنائي القطبين. لكن لنرجع خطوة إلى الوراء. ما المشكلة في ادعاء الرسالة؟

هذا ليس مجال بسط نظرية استمرارية الرسل من كتاب الله، فكثيراً ما قمت بذلك في كتبي ومجالسي وبيّنا أن فكرة انتهاء الرسل عقيدة فرعونية بحتة، لا شاهد عليها من كتاب الله مطلقاً بل كل ما في كتاب الله نصّاً وروحاً يثبت حتمية وجود رسل بدرجة أو بأخرى. وكل ما استدلّ به أنصار عقيدة انتهاء الرسل مطلقاً مردود عندنا، وقد جادلناهم فيه. أقصى ما يمكن أن يقال هو أنها قضية خلافية، فقد اختلف المسلمون في تجسيم الله ونوعية وحدته بل اختلفوا في هل البسملة آية من الفاتحة أم لا، فلا يزعم إنسان أن قضية انتهاء الرسل أو انقطاع الوحي أوضح من التجسيم والوحدة وقرآنية البسملة، وقد اختلف المسلمون في كل شيء تقريباً، فهب أن مسألة الرسالة إحداها، فهذا أقصى ما في الأمر، ولا يستحق الأمر لا رمي المخالف المختلف بأن عنده ثنائي القطبين أو ثلاثي الأقطاب. (بالمناسبة، حتى وجود القطب من عدم وجوده هو مما اختلف ولا يزال يختلف فيه المسلمون). هذا بالنسبة للإثبات الفكري.

بالنسبة لي، الذي قلته وأقوله هو أن الله تعالى أمرني مباشرة بأن أُعلِّم كتابه، ونبيه محمد أمرني مباشرة بأن أُبيِّن فائدته بعد موته يعني أُبيّن حقيقته. بالإضافة إلى أن الله-وأنا أتكلّم عن شهود-أظهر فيّ ويُظهر بي تأويل القرءان وحقائق الأنبياء. وأخيراً، الذين يُعلّمون كتاب الله ويبلّغونه للناس اسمهم في كتاب الله رسل. بهذه الاعتبارات الأربعة على الأقلّ أقول بأني رسول الله ورسول رسوله ومُبلِّغ رسالته بإذنه. لا يوجد عالِم في الأمّة يستطيع أن يُنكِر إمكان هذه الأمور ولا أني جئت ببدع من القول لم يعرفه المؤمنون منذ القدم. فما أكثر ذلك ولله الحمد

في الأمّة بدرجة أو بأخرى عبر الزمان. لكن الفرق أن الذين يكفرون بي يؤمنون بنفس الأمر أو ما يشبهه أو ما هو قريب منه في حق غيري. فمثلاً، قد تجد سُنّياً متصوفاً يؤمن بأن النبي يأمر ويفيض على مؤمن ما مثل ابن عربي أو شيخ طريقته، لكنه قد ينكر ذلك في حق غير هؤلاء. كذلك قد تجد الشيعي يؤمن بأن إمامه مظهر تأويل القرءان وتجلي حقائق الأنبياء، لكنه ينكر ذلك في غير إمامه. وقد تجد الحنبلي وغيره يعتقد بأن ابن حنبل رأى الله في المنام وسأله عن التقرّب إليه والله كلّمه، لكنه ينكر ذلك لغيره. وهكذا. أصول الأمر ثابتة، لكن تطبيقها على الناس والإيمان باستمرارية ظهورها أو على الأقل ظهورها في مَن لا ينتمي إلى طائفتهم ويتعصّب لحزبهم هي المشكوكة عندهم. بالتالي، حسن الخصومة يقتضي على الأقلّ الإقرار بأصل الأمر، والاعتراف بإمكانية حصوله، وذكر بعض مظاهره المعروفة، مع القول بالشك في انطباق ذلك على هذا الإنسان أو ذاك. هذا أقلّ الإنصاف. أما الرمي بالاختلالات العقلية بسبب القضايا الدينية الغيبية فهو أمر يناسب الملحدين لا المؤمنين.

لكن يوجد جانب آخر للقضية. حين كنت في جدة، لم أكن أُظهر كل شيء وأبيّن كل شيء لنفس سبب عدم تبيين أصحاب الكهف لكل شيء. هذا مع أني كنت أُظهر الكثير جداً، أكثر بكثير مما كان ولا يزال (الآن صار أسوأ بكثير) يتّقي إظهاره شيوخ تقليديين من جميع المذاهب التي أعرفها، حتى أنهم كانوا يعتبرونني أحياناً متهوراً في إعلان رأيي ونقد ما يخالفه. بل أحياناً كنت من شدّة إظهاري لما يخالف النمط السائد والمقبول أرى في أعين الناس توجّساً منّي وكأنّي جاسوس للحكومة وكأنهم يقولون "لولا أنه جاسوس، لما تجرأ على أن يقول مثل هذا الكلام علناً". لكن مع ذلك لم أعتبر نفسي مُبيّناً بما فيه الكفاية. باختصار كنت أحاول دفع الخطّ الأحمر إلى أقصى حد ممكن. لكن مع ذلك لم أُظهر كل شيء. إلا أنه بعد الهجرة، كشفت كل شيء وبسرعة، وهذا صدم الكثير ممن يعرفني. فظنّوا أني "بدأت أتقمّص شخصية رسول"، لماذا؟ لأني فعلاً أظهرت رسالتي ! بكل بساطة ووضوح. ما في عقلي قلته، ما في ضميري ذكرته، ما كنت أقوله في السرّ لثقاتي صرت أقوله في العلن لكل من يريد استماع كلامي. لم يتغيّر شيء في الحقيقة، كل ما حدث هو أن ما كنت أراعيه بسبب ظلم وظلام طغاة الناس في الجزيرة العربية لم أعد أبالي به بسبب تحرر الناس في القارّة الأمريكية. لكن مع ذلك، بعض المقرّبين منّي هناك لم يتغيّر عليهم شيء منّي إلا القليل أو لا شيء لأنهم يعرفون هذه الأمور منّي. فلا يوجد قطبين في نفسيتي، بل هي نفس واحدة، لكنها كانت في طور الكهف في الحجاز وصارت في طور الكشف في أمريكا. عدم ملاحظة هذا الجانب جعل البعض يتوهم أن لي شخصيتين، سلطان العبد وسلطان الرسول، وسلطان

العبد كان هو الظاهر في الحجاز وسلطان الرسول مدفون أو معدوم، فلمّا هاجرت بدأت شخصية سلطان الرسول تظهر وتطغى على سلطان العبد. الحق أن هذا التحليل (والتعبير لي، فإن الشاتمين لا يحسنون الوصف) غير صائب. الحق أن سلطان واحد وهو عبد الله ورسوله ورسول رسوله. العبودية تصلح في كل مكان، لكن الرسالة لا تصلح إلا بالحرية. فكان الغالب عليّ حال العبودية بسبب ظرف الاستعباد العام في الفرعنة السعودية. هذا هو الفرق الوحيد الجوهري بين الحالتين. العبودية حالة أخذ من الله، الرسالة حالة إعطاء لعباد الله. كل إنسان فطري هو إنسان محمّدي، فيأخذ كعبد الله ويعطي كرسول الله. مشكلة أكثر المعتقدين بالإسلام أنهم يعتقدون بدين ميت ويتديّنون تديناً ميتاً، وهذه مشكلتهم الحقيقية معي ومع نمط تديني. أنا لا أدين بدين ميت، ولا أعكف على أصنام ولا أوثان مثلهم. فحين يجدون أني أعبد رباً حياً، وأتبع رسولاً حياً، وأقرأ كتاباً حياً وكل من فيه من الأمثال لهم مظاهر أحياء اليوم، يرتعبون ويكرهون ويشمئزون من ذلك لأنهم اعتادوا على صمت المقابر وجمود الأصنام الذهنية واللفظية.

اختلال ثنائي القطبين يظهر على صاحبه بسهولة عند كل من يجالسه أو حتى يراه بكثرة من بعيد. والاختلالات العقلية عموماً تظهر على صاحبها بنحو لا تخطئه العين، أقصد القدر من الاختلال المعتبر على الأقلّ. وأما أنا، فمراقبة نفسي من أهم أعمالي، والشيء الذي أعرفه ويعرفه من قابلني وجالسني هو أن نفسي موحدة متناسقة مع ما فيها من درجات وأعماق، ولم أجالس أحداً إلا كانت نفسي بنفس استواء نفسه أو ظهر هو كمريض أو مختلّ أو مضطرب مقارنة بي. تغيّر الشخصية وانقلابها من تطرف إلى تطرف ليس أمراً أعهده من نفسي ولا يعهده أي أحد عاشرني وأنصفني، وأسوأ ما يمكن أن يرميني به أي أحد (وأنا أعلمه من نفسي جيداً) هو أني حين أغضب أنفجر، لكن حتى أشدّ العاتين سيقرّ بأني لا أغضب بسرعة بل غضبي بطيء جداً وصبري طويل، ويمكن تسكين غضبي حين يحدث بأدنى إشارة وكلمة، وحتى إن لم يفعل من استحق غضبي ذلك دائماً (ولا أقول غالباً، بل دائماً) ما أكون أنا المسكّن لنفسي بالله وغالباً إن لم يكن دائماً أذهب إلى مَن غضبت عليه وأعتذر له حتى إن كان هو المخطئ بلا عذر ولا اعتذار، ولا أظن أن مثل هذا الغضب يستحق أن يُسمّى مرضاً، بل لو استطاع أكثر الناس أن يكون هذا حالهم لكان خيراً عظيماً، ومع ذلك فإني أراقب نفسي دوماً في هذا الجانب وأسعى للتخفيف من ذلك واتقاء حصوله ما استطعت إليه سبيلاً. وقد ذكرت مراراً في كتبي قضية حساسيتي هذه وأنها ضريبة أدفعها من وجه للحساسية النافعة، فهي ليست أمراً مجهولاً بالنسبة لي، ومَن يعرفني عموماً يدرك ذلك منّي ويعرفون ما الذي يثير

غضبي فيتقونه عادةً، وفي الغالبية العظمى من الحالات إن لم يكن كلّها لا يثير غضبي إلا أمر فعلاً يثير الغضب، هذا مع ما ذكرته من قبل من بطيء حصوله عادةً وسرعة زواله. لأضرب أمثلة سريعة على حوادث أثارت غضبي.

حين كنت أعمل في الخطوط السعودية محققاً، دخل عليّ زميل وسألني عن قضية كُلِّفت بها وأراد أن يتوسّط لصاحب القضية عندي، فظهر الغضب في وجهي فوراً حتى خاف وذهب. بعدها بفترة، مدير إدارتي نفسه مع كل تعظيمه في نفسي دعاني إلى مكتبه وعنده شخص له قضية عندي فانفجرت غاضباً ليس لأنه توسّط له لأنه لم يتوسّط له بل لمجرّد أنه سألني عن القضية وشعرت بنوع من الضغط وكأن شيئاً من التوسّط أو السعي للتخفيف يمكن أن يحدث بالرغم من أن شيئاً لم يحدث لكنني أردت حسم المادّة من قبل حتى أن تظهر.

حين كنت أعمل في البنك الفرنسي، جاءت مديرة مدير مديرنا وجمعت جميع موظفي الإدارة وفيهم الكبير البالغ الخمسين والستين فمن دونه، وكنت أنا أحدث الموجودين توظيفاً، وبدأت تلقي علينا محاضرة شعرت بأنها كلام فارغ ومن حولي كلهم يعلمون أنها كلام ووعود فارغة وفعلاً تبيّن صدق شعوري، وعرفت أن الموظفين حولي قد سمعوا مثل هذه الوعود الفارغة كثيراً من قبل. لكن شعرت بالإهانة من جمعها لنا والتكلّم معنا كأننا أطفال صغار والكل ساكتون مجبورون على السماع بسبب منصبها. فغضبت بأدب وجادلتها وساءلتها عن كلامها وحشرتها حتى جعلتها تقرّ بأن وعودها على الحقيقة فارغة فيما يهمّنا كموظفين وأنه ليس بيدها شيء وأُحرِجَت بسبب ذلك لكنني لم أبالي، لأني شعرت بأن كرامتي وكرامة الصامتين حولي ومعظمهم أجانب يخافون على وظائفهم معرضة للخطر، فقلت بأنها تستطيع أن تجبرنا على السماع لكنها ستسمع ما تكرهه بأدب وعقل مع حِدّة في المقابل.

في بعض علاقاتي مع النساء، (سأفرد كتاباً لاحقاً إن شاء الله لذلك)، كثيراً ما كنت ولا زلت أغضب حين أشعر بأن المرأة لا تقدّر حاجتي إلى صفاء عقلي للقيام بعملي، فتقوم باختراع مشاكل كبيرة وتثير ضجّة بسببها مهما كان السبب المنشئ لها صغيراً وتافهاً حتى باعترافها هي حين ننتهي من الجدل. لأني أعتبر بيتي أقدس مكان بالنسبة لي، ودار السلام، حيث أعمل كل أعمال طريقتي وأتفرغ للكتابة، فإني أعتبر أي إزعاج في البيت خطراً غير مقبول على سلامة حياتي، لكن أصبر سبعمائة مرّة وأغضب مرّة، وحين أغضب أسارع إلى السكون والترضية وقبول الوعد منها بأنها لن تعود لذلك، وأقبل ذلك مرّات لا أحصيها وكل مرّة أفترض بأنها ستكون فعلاً آخر مرّة وإن كنت في قرارة نفسي أعتقد بأن الأمر سيتكرر. لكن مع ذلك، الغضب هنا غرضه عندي واضح وهو إرادتي السكينة داخل بيتي وعدم اختراع مشاكل فقط لحرق الطاقة أو إهدار وقتي في توافه أنا في غنى عنها بل وهي أيضاً في غنى

عنها وكثيراً ما تكون مجرّد وسيلة لجذب اهتمامي أو وهو الغالب تكون مشكلة نابعة من جذر نفسي عندها هي لا تريد معالجته بالوعي وأعمال الطريقة لكنها تريد منّي قبوله والرضا بوجوده وهو أمر مستحيل لأن عملي كله قائم على مراقبة النفس وإصلاحها، فلا يمكن أن أقبل لا من حبيب ولا من غريب فساد نفس وأقرّه عليه، وبالأخصّ إن كانت الشخص الوحيد الذي سيكون الأقرب إلى قلبي والساكن في عقر داري. حين أشعر بأن المرأة لا تقدّر أهمّية سكينتي، أغضب ليس لأني أريد الغضب فقط لكن لأني أرسل لها رسالة بأن مثل هذه اللامبالاة ستعني حتماً الانفصال، وكثيراً ما حصل ذلك في النهاية. ولأسباب أخرى تدور في فلك بيان أهمّية السكينة لي خصوصاً داخل بيتي الذي هو مسجدي أيضاً.

على هذا النمط، لا يوجد لديّ غضب إلا وله أسباب مهمّة تدور عادةً حول سلامة النفس، وإرادة وضع سور من نار حولها حين لا ينفع سور النور مع بعض المعتدين. ومع كل ذلك، غضبي بطيء الظهور سريع الضمور ومَن اعتذر يجدني غفور.

...-...

٣-(لا تحب الاعتراف بالحقيقة)

الذي قال لي، أو بالأحرى التي قالت لي هذه العبارة هي امرأة ردّت عليّ ما قلته أنا لها. لكن بغض النظر عن مصدر الكلمة ومدى أهليته وصدقه في إطلاقها لنرى هل ينطبق عليّ ذلك.

الحقيقة التي يكره الإنسان عادةً الاعتراف بها هي التي تكشف عن نقصه أو ضعفه أو سوء حاله. فالإنسان عادةً يحبّ المدح ويكره الذم. فإن أردنا معرفة إن كنّا نحن ممن يكره الاعتراف بالحقيقة فالطريق سهل نسبياً وهو أن نرى حالتنا مع الذمّ، أي حين يذمّنا إنسان، سواء كان ذمّه بحق أم بباطل، هل نسمع ونقبل وننظر أم نهرب وننفر ونكذّب فقط؟ أمّا أنا فالجواب عندي واضح، وهو جواب يمكن معرفته بمجرّد قراءة هذا الكتاب فضلاً عن بقية كتبي، فإنّي أشتهي سماع الذمّ كما يشتهي عموم الناس سماع المدح. بل إن المدح يؤذيني، والذمّ يطربني، لسبب بسيط وهو أن المدح فيه رائحة ربوبية ولا أحبّه فإني عبد الله، لكن الذمّ من جهة يُذكّرني بحقيقة عبوديتي لله ومن جهة أخرى يفتح لي باب تحسين نفسي ومن جهة ثالثة يؤكد لي حسن ما أنا عليه في حال كان ذمّاً جاهلاً وتافهاً بعد النظر فيه وتمحيصه. من هنا والذي ينظر في كتبي يعرف ذلك، تجدني أذكر مَن يذمّني في شخصي أو في عقلي وأفكاري ولا أكاد أذكر أبداً مدحاً جاءني بل أقرأه أو أسمعه وأمسحه ولا أعتبره.

بعض الناس يعتبر عدم قبولي رأيه هو رفض منّي للاعتراف بالحقيقة. هذا إجحاف. قد يكون لك رأي أرفضه لكنّي نظرت فيه وأعطيته حقه، لكن في النهاية اختلفت معك، فلا يقتضي ذلك أن تطعن في أصل علاقتي بالحقيقة ومدى ارتباطي بالواقع وقبولي للصواب من حيث المبدأ. رأيك ليس "الحقيقة" المطلقة حتى يكون عدم الإقرار بها إجرام في حق الحقيقة.

علامة أخرى لإنسان يكره الاعتراف بالحقيقة هي نوعية علاقته بالكتب والناس عموماً. يعني ننظر في مدى اختلاف الكتب التي يقرأها والأديان والمذاهب التي ينظر فيها والناس الذين يستمع لهم. فتجد الناس عموماً يقعون في خانة الانغلاق على لون واحد ولا يؤمنون بما وراءه ولو كان ما كان، ثم أقلّ منهم ينظر من طرف خفي في شيء بسيط مما يختلف عنه كأن ينظر السنّي في شيء من كتب الشيعة مثلاً أو يستمع مرّة أو بضع مرات لمتكلّم شيعي، ونحو ذلك لكنه لا يجاوز ذلك إلى ما هو أبعد من دائرة الإسلام، هذا في باب الأديان وقس عليه في كل شيء آخر، فقد يكون ملحداً ومنغلق على إلحاده أيضاً ولا يرى الوجود والكون إلا في مرآة عقول الملحدين وإن خرج قليلاً فقد ينظر في شيء من السطوح هناك وهناك. التعددية في الأفكار والأشخاص تكشف عن مدى ارتباطك ب"الحقيقة". لأنك تقول "لعل الحقيقة ما وراء ما أنا عليه، ولعلها أوسع مما أعتقده"، وحتى تتأكد من ذلك توسّع نظرك وتُطلق بحثك. بناء على هذه العلامة، أيضاً مَن ينظر في ما أقرأه ومَن أستمع لهم سيعرف فوراً بأني من أوسع الناس اطلاعاً وأشدّهم حبّاً للتوسّع في كل باب وكلما ازداد بُعد الشيء عن دائرة معرفتي وإيماني كلّما ازداد اهتمامي به وإرادتي الاطلاع عليه. يكفي أن تسأل عشرة أشخاص مختلفين عن انتمائي الديني والفلسفي وستجدهم يختلفون في توصيفي من النقيض إلى النقيض، كل واحد بحسب ما اطلع عليه منّي. وقد شهدت هذا بنفسي أيام الجامعة، حيث كان الناس في بعض الأماكن يعتقدونني علمانياً ملحداً وفي مكان آخر شيعياً وفي مكان ثالث صوفياً، وخارج الجامعة ومن أقاربي من كان يعتقد بأني سلفي متعصّب ومنهم مَن يسمّيني الأمريكي وهكذا. أنا أوسع من هذه الأسماء كلها، لأني فرد حقيقي لا يُعرّفني إلا ذاتي، ولي مع كل اسم رابطة وعن كل اسم غنى.

...-...

٤- (لا تتأثر سلبياً حين يضحك عليك الناس بسبب كلامك)

هذه التهمة مبنية على كوني من جهة أتقبّل ولا أتغيّر بسبب انفعال الناس ضدّي عادةً سواء بالضحك أو بالسخرية أو بالغضب. بما أن النمط المعتاد في النفوس هو كونها اجتماعية بمعنى الرضوخ للضغوط الاجتماعية أو رأي الناس، فإن رؤية شخص خارج هذا النمط يجعله غريباً. فيما يخصّني، والكلام هنا يخصّني، هذا الأمر لم يحصل لي في ليلة وضحاها، بل هو أمر لا زلت أعمل وأجاهد حتى أستقيم عليه، أقصد عدم تغيير كلامي فقط بسبب سخرية أو ضحك أو غضب الآخرين بسببه. ولي على ذلك أسباب أتمسّك بها.

السبب الأول، معرفتي أن كلامي يخصّني ولا يخصّ غيري حتى حين أوجهه لغيري أو أعلنه لغيري. حين أتكلّم فأنا أعبّر عن عقلي وإرادتي، ما أراه ولا أحبّه، ما أعتبره موجوداً وما أسعى لإيجاده أو إعدام وجوده. بمجرّد كلامي أنا لا أعتدي على غيري ولو قلت ما قلت، لأن غيري له تمام الحرية لكي ينفعل كما يشاء أو يُعرض إن شاء عن كلامي، وكل كلام من حيث هو كلام هذا سبيله. كلامي عن الوجود لا يغيّر ذات الوجود بدليل أني أنا وغيري نتكلّم عن نفس الوجود وبالرغم من تناقض أقوالنا يبقى الوجود على ما هو عليه، بالتالي كلامنا راجع إلينا وكاشف عنّا في الأصل، وكذلك الحال في إرادتنا بإيجاد شيء أو بإعدامه فإن إرادتي إرادتي وليست إرادتك فإن عبّرت عنها فهذا يخصّني ولو كنت تعتبر هذا سيئاً أو مثيراً للسخرية فذاك شيء يخصّك. فبما أن كلامي يخصّني فلا أغيّره من أجل انفعالات غيري.

السبب الثاني، ملاحظتي أن لأي كلام عموماً ولكلامي خصوصاً أناس يضحكون منه وأناس يفرحون به وأنا لا يبالون به. إذا كان يجب عليّ تغيير كلامي انفعالاً للساخرين فيجب عليّ بنفس المبدأ الثبات على كلامي انفعالاً للفرحين القابلين المؤمنين وكذلك يجب عليّ اللامبالاة بكلامي انفعالاً لغير المُبالين. بما أنه في الواقع لا أستطيع أن أتخذ هذه المواقف الثلاثة في آن واحد، لأنها متناقضة، فلابد من أن أختار إما أن أجعل مبدأي هو عدم الانفعال للآخرين لا سلباً ولا إيجاباً وإما أن أجعل نفسي مملوكة لشركاء متشاكسين متناقضين ففي وقت أتبع الساخر وفي وقت أتبع المؤمن وفي وقت أتبع المُعرض وهذا سيجعلني في الواقع بغيضاً عند الكل لأن الساخر سيبغضني حين أتركه إلى المؤمن والمُعرِض والمؤمن سيبغضني حين أتركه للساخر والمعرض والمعرض لن يعرفني أصلاً. بناء على كثرة ملاحظتي لهذه الأصناف الثلاثة، قررت وعملت ولا زلت أعمل على عدم التأثر في قراراتي بالكلام والسلوك قدر الاستطاعة بانفعالات الناس. نعم هذا لا يعني أني لا أستفيد من جميع الانفعالات بشكل أو بآخر، لكنّ يعني أني لا أغيّر كلامي فقط كانفعال غريزي اجتماعي لمواقف الآخرين منه ومنّي.

السبب الثالث، كلامي حسابه عند ربّي، فأعمل على أن يكون على نمط يرضاه لي ويرتضيه منّي. وأنا معارض أصلاً لجبر الناس بعضهم بعضاً على الكلام، فكيف أقبل على نفسي إخضاعها بدون أن يوجد حتى الجبر القهري المعتاد. أنا ضدّ الإكراه في الكلام فكيف أرضخ للاستكراه في الكلام. الإكراه الذي ترعاه القوة العنيفة للدولة مثلاً أعارضه وألعن أصحابه، فكيف أرضى بأن أخضع طوعاً لمجرّد شعوري بكراهة غيري لكلامي أو لما أجد من الكراهة في نفسي لمخالفة الآخرين بحكم الترابط الاجتماعي. من أركان رسالتي إعلاء الكلام عن الإكراه والاستكراه. خروجاً عن الإكراه هاجرت، وخروجاً عن الاستكراه أعلنت كلامي كلّه بغض النظر عن سخرية الساخرين ومحبة المحبّين. صلابتي في هذه الأمر مبنية على أنه من صلب رسالتي. وأعمل على أن أكون أول وأحسن المنتفعين بما أعلّمه غيري وأدعو إليه، ما استطعت بمعونة بالله تعالى.

نعم قد توجد أحيان يضايقني كلام أسمعه أو يبلغني، أو أشعر بشيء من الأذية حين أرى ساخراً أو غاضباً أو كارهاً لما أقوله. لستُ حجراً ولستُ إلهاً. إلا أن الفرق بيني وبين مَن ينتقدني على صلابتي هذه هو أني حين أشعر بهذا الضيق والأذى لا أستسلم له ولا أرضى بالخضوع له بإذن الله وأستمد منه العون عليه وقد عوّدني برحمته الكرم في ذلك وجعلني غالباً منتفعاً بكل ما أسمعه كائناً ما كان وممن كان. أنا لا أعتبر ما أجده في نفسي من القضاء والقدر الذي لا يُغيّره البشر. ما أجده في نفسي راجع إلى تفكيري عنه وتفسيري له وحالتي الواقعية، وتفكيري وتفسيري وحالتي كلّها متغيّرات وقابلة للتغيير بدرجة أو بأخرى بإذن الله. فإذا وجدت شيئاً في نفسي أكرهه فإن ردّة فعلي الأولى-وهنا نفترق أنا والغافلين المنتقدين-هي أن أسأل نفسي "لماذا شعرت بهذا الشعور؟" فأردّ الأمر إلى نفسي، ولا أرمي به حتى الذي قال لي ما كان في الظاهر سبباً لما شعرت به. أرى أنه من الذلّ أن أكون منفعلاً لقول غيري كأنه لا حول ولا قوة لي وكل الحول والقوة له هو، ليس فقط الذل بل والكذب على النفس وخدا ع الذات، إذ بالنظر والتحليل والتأويل يتبيّن دائماً مرجع تلك الأذية والضيق إلى فكري أنا واختياراتي أنا وما أملك تغييره بإذن الله أو بكل بساطة أحياناً يكون السبب اختياري لمسلك مع عدم وعيي بأن ما سمعته ثمرة متوقعة لاختياري ذلك فأعمل على ترضية نفسي بالثمرة لأني اخترت وأحببت الشجرة وثمارها الكثيرة الأخرى، كالذي يحب السباحة ويشتكي من بلل جسمه أو يحب السباحة ويشتكي من التعب أحياناً أو يحب السباحة ويبلع الماء أحياناً بالخطأ، هذه كلّها لوازم متوقعة وإن كانت مكروهة للسباحة ذات المنافع والمتع الكثيرة. أنا لا أعتبر حالتي النفسية الآن هي الحالة المطلقة العالية التي لا شيء فوقها ولا شيء غيرها،

وهذا بخلاف حال مَن يتعامل مع نفسه وانفعالاتها كأنها من القضاء والقدر الذي هو في أمّ الكتاب لا يمحوه شيء. نفسي معمل تجاربي، ومشهد تأملاتي، وطين عقلي.

السبب الرابع، أني أومن بالمجتمع المفتوح المتعدد، وذلك يعني ظهور الاختلافات بين الناس، فكما أني أنا سأضحك وأسخر من أقوال وأفعال وأحوال غيري ولا أريد هؤلاء أن يعتدوا عليّ ولا حتى أن يتغيّروا سطحياً ويخفوا حالهم فقط ليكفّوا الآخرين من الضحك عليهم ومن ضمنهم أنا، كذلك أنا لابد من أن أتحمّل حسب قاعدة العدل والإنصاف وأتوقع وأقبل وجود غيري ممن يضحك عليّ ولا أجد حتى في نفسي ولا أدنى رغبة لا أقول بالعدوان عليهم ولا أقول بالشكوى القانونية ضدهم بل ولا حتى الدعاء عليهم. أنا أعتبر صبري وقبولي على مثل ذلك هو الحدّ الأدنى الواجب عليّ لتصديق قولي بفعلي، بل ولا أحبّ حتى الرضا بالصبر والقبول العام بل أعمل على ترضية نفسي وإقناعها بالترحم ومحبة مثل هؤلاء لأنهم على الأقلّ يستحقون الشكر لكونهم أقبلوا عليّ وانفعلوا بسببي وقد أثرت فيهم الضحك وهو شعور جيد بشكل عام، فالذي يضحك عليّ يكون قد انتفع بي من حيث توليدي للضحك فيه والضحك عموماً تاج التنوير والسعادة وكذلك انتفع بي من حيث الإقبال وسماع شيء غريب عنه وفي هذا انفتاح على الأقلّ على الغريب والجديد وكونه اكتفى بالضحك شاهد على سلميته في المعارضة وهذا أيضاً أمر حسن.

السبب الخامس، أنا لا أرضى بإيهام نفسي بأني مقبول من الجميع عبر إخفاء نفسي داخل سجن بدني وزخرف التطابق مع المجتمع حولي. أنا أعلم بأن هذا كذب وكل مَن يفعله كذّاب ومنافق. بعض مَن يرميني بمثل هذه التهمة في نظره هو من أشدّ الناس بغضاً للناس والمجتمع وكرهاً وحقداً على الناس مَن علمهم ومَن لم يعلمهم، لكنه يقول "لا أريد أن أكون مشهوراً" ويرضى بالشتم في السرّ وإظهار الموافقة والمسالمة في العلن. عيشة السفلة الجبناء المنافقين هذه لا ترضيني. أنا أشتم في العلن، وأشتم في السرّ أحياناً، إن أردت الشتم، بل لعلّي لا أشتم في السرّ أصلاً لأن كل شتائمي لمن أريد شتمهم قد أعلنتها مراراً وتكراراً حتى حُفظَت عنّي ممن يعرفني ويقرأ لي ويحضر مجالسي ويرى حياتي. أنا لا أقبل كل شيء، ولا أتوقع كل شيء أن يقبلني. لي مواقف من عقائد وأشخاص وأشياء، إيجابية وسلبية. كل إنسان له مثل ذلك، شعر أم لم يشعر، أعلن أم لم يعلن، أظهر ذلك بلسان أفعاله أو بلسان أفعاله وأقواله معاً. الفرق هو أني أعي ذلك من نفسي وغيري، وأعمل على أساسه وأعلنه قولاً أيضاً لا فعلاً فقط باختيار أمر وكراهة غيره. قولي يعبّر عن وجودي. الكثير من الناس يريد

إيهام نفسه بأنه مقبول من الكل لأن لا أحد يخصصه بالمهاجمة والكراهة، لأنه يخفي نفسه في حجاب المقبول اجتماعياً. في الواقع هو غير راض عن المعيار الاجتماعي وعن كثير من الأمور. أما أنا فأرى هذا نوعاً من عذاب النفس، ولا أعذّب نفسي بسبب أحد من البشر، بل رأيت رضا نفسي في إظهار حقيقتها مع تقبّل تغييرها ثم مهاجمة كل ما أكرهه وإعلان كراهة ما أكرهه، وكذلك بالعكس في الأمور التي أحبّها وأدافع عنها وأسعى لتحقيقها. أرى أن العيش بغير أعداء ليس عيشاً، ومَن ليس له أعداء ليس له أصدقاء، ومَن لا يُعادي ويُعادَى فهو والهباء المنثور شيء واحد.

...-...

٥-{تتوهم مطاردة الناس لك واضطهادهم لك}

يا ليت أني كنت كذلك ! يا ليت أني أتوهم ذلك بدلاً من أن يكون حقيقة، لكن للأسف (أسف على الظالمين مما سيحيق بهم يوم الدين) الواضع بخلاف ذلك. صاحب هذا الوهم المرضي يتخيّل "الناس" يطاردونه أو يريدون اضطهاده، "الناس" بشكل مبهم وبغير سبب معقول مشهود له عند المحايدين أيضاً والذين لا علاقة لهم به. أما أنا فلا أتوهم شيئاً بهذا الخصوص، بل الأمر بسيط وصار بحمد الله في وقتنا هذا يعرفه سكّان المشارق والمغارب وحتى مَن كان لا يعرفه من قبل حين كان في طيّ الستر صار الآن يعرفه وسمعه به وسأضرب أمثلة إن شاء الله على ذلك لكن بعد ذكر مَن هم الذين يدّعي صاحب هذه التهمة أني أتوهم مطاردتهم لي.

هم أرباب الدولة السعودية وعبيدهم من مشايخ الوهابية. هؤلاء رأس مَن كنت أحذر منهم ولا زلت لأنهم أكبر عدوّ لي وأنا من أصرح أعدائهم أيضاً. أنا رافض ومنكر ومعادي لكل أصحاب الملكيات السياسية والمؤسسات الدينية القهرية التي تستعين بالدولة أو لها دولة تفرض بها فكرها الديني وقيمها المذهبية وتسلب حريات الناس في تعبيرهم وتدينهم. عداوتي هذه نابعة من ضميري ومن ديني أيضاً، فهي دين أتقرّب به إلى ربّي. موقفي هذا معروف ومن يوم كنت في الحجاز ولا يزال موقفي على ما هو عليه، أعلنه في كل مناسبة أجد فيها أمناً وشيء من القبول لكلامي، ولا زلت أفعل ذلك وإن كنت أحذر من إعلانه في بعض الحالات حين كنت مضطراً للعيش تحت سلطتهم الغاشمة. اليوم بات الجميع تقريباً أو يستطيع أن يعرف بسهولة إلى أي مدى تبلغه مطاردة واضطهاد بل وخطف وتعذيب واغتيال وتقطيع المعارضين بل وأخفّ

المعارضين بل ومَن لا يرى نفسه معارضاً أيضاً لكن يتكلّم بما يكرهونه ويعمل ما يرفضونه في الشأن السياسي خصوصاً. هذا ليس توهماً، هذا واقع بل سياسة رسمية معلنة. بل زادت هذه السياسة قمعاً وقهراً منذ خرجت من الحجاز في مارس ٢٠٢٢م قبل نحو ثمانية أشهر، حتى صارت المرأة أو العجوز الذي يكتب شيئاً تُشمّ منه رائحة معارضة شيء سياسي بل ولو كان متصلاً بالسياسة السعودية بوجه، صاروا يضعونهم في السجون لعقود من الزمن وكأن الأحكام القضائية لعبة أرقام وليست حياة إنسان بل ناس كثر يتعلّقون بهذا الإنسان، كالحكم على امرأة بالسجن لأكثر من ثلاثين سنة أو أربعين سنة أو الحكم على عجوز أيضاً بعشرات السنين وهكذا مما أخباره تجدها بسهولة بأدنى بحث بل لعلها تصلك بدون بحث أحياناً. الرعب المنتشر الآن في الجزيرة العربية المقهورة لا نعرف له مثيلاً بل ولا حتى في زمن الطغاة السابقين، حتى صرنا بالمقارنة نكاد نلعن الطغاة السابقين لعناً أخفّ مما نلعن به الطغاة الحاليين أو في لحظات من البهجة نكاد نعتبر الزمن الغابر زمن حرية وتنفّس بالمقارنة كالذي اعتاد أن يتنفّس من ثقب في الحائط وإذا به يجد نفسه مجبوراً على التنفّس من ثُقب إبرة وهذا أيضاً مع الحذر مما يمكن أن يخرج من الثقب. هذا ليس توهماً، هذا واقع بل وواقع معلن بل وكم جاءني من تحذير وتخويف بعدما خرجت بشكل أو بآخر ورأيت خوف الكثيرين من مجرّد الارتباط بي ولو من بعيد خشية على أنفسهم من ظلم تلك الدولة اللعينة التي طبّقت حرفياً ما كنّا نعتبره هزلاً في الأفلام المصرية حين يقولون "ذنبه على الذي جنبه"، بل الرعب المنتشر الآن جعل الكثير من الناس يعتقدون بأن ذنبه ليس فقط على الذي جنبه بل على الذي جنب الذي جنبه ممن لم يحذّر الذي جنبه أن لا يتعاطى مع الذي "الذنب" المفترض ذنبه، أو لا أقلّ أن الرعب المنتشر جعل الكثير من الناس يعتقدون ذلك. المسلمون والعرب عموماً في الجزيرة اليوم حرفياً مختطفون من قبل عصابة مسلحة تُسمّى حكومة. والحالة النفسية التي يعيشها العامّة هناك تشبه بل تتطابق مع الأعراض التي نجدها في الأطفال المغتصبين أو النساء المغتصبات أو جنود الحروب العالمية الذين رجعوا بصدمات شديدة ونحو ذلك ممن قهرتهم الصدمات الطاغية.

إلا أن مَن يريد أن يقترح بأني أوسوس في ظنّي أن قول ما أقوله لا يعرّضني للمطاردة والاضطهاد، فأحاكمه كما فعلت مع بعضهم من قبل إلى تجربة بسيطة. ليأتيني وأزوده ببعض ما كتبته، وليذهب ويعلنه كما أعلنه أنا الآن لكن ليعلنه من داخل الحجاز مثلاً لنرى هل سيسلم أم لا. قد جاءني بعض هؤلاء ممن تسحره الألفاظ ويظن أن "التفتح" قد صار واقعاً ملموساً في دولة جوهرها هو الانغلاق الظلامي (والجواهر لا تتبدّل وإن تبدّلت أعراضها)، فجاء يقول

لـي "نـحن الآن نـعيش حـالـة تـفتح، فـعن مـاذا تـريـد أن تتحـدث ولا تسـتطيع أن تـقولـه هـنا؟ " فوضعت له قائمة سريعة كتبتها وأنا أسير في الشارع بل وأقطع الشوارع من شدّة بساطة ما طالبني به، وسألته أن يعلن أي واحدة منها إن شاء، والنتيجة متوقعة وهي أنه اختفى ولم يعد.

الحاصل أنا لا أتوهم إلا ما يقتضيه الواقع الملموس الذي يدركه مختلف أصناف الناس أو على الأقلّ يرونه معقولاً. قد أذكر بهذا الصدد من باب المقارنة توهمي، نعم توهمي المرضي، بأن القطط مخيفة. هذا أعلمه يقيناً، أو كنت أعلمه من نفسي، لأني حين واجهت نفسي به لم أجدد حججاً مقنعة من أي وجه تبرر لي الحذر الشديد من القطط، فاعترفت بأني متوهم لكني لم أستطع تغييره بالإرادة المباشرة، فسعيت لتغييره لأنه فعلاً وهم ولا أخشى من الاعتراف بأنه وهم، لأني كنت أتوهم مطاردة قطط لي أو هجومها عليّ حتى أني كنت أرى الكوابيس في ذلك أحياناً، لكن قبلت رميي بالوهم واعترفت به وسعيت ذلك تدريجياً واستعنت بالله حتى خرجت من الوهم وصرت الآن من محبي القطط. لكن يوجد لديّ أمر أنا الآن بصدد محاربته في نفسي وهو خوفي من الكلاب وحذري الشديد منها، هذا أيضاً أمر واجهني به بعض محبّي الكلاب وواجهت نفسي به واعترفت به، وفعلاً في أمر الكلاب رأيت أني متأرجح ما بين الخوف منهم وقبولهم لكن الخوف ليس مرضياً كما كان الحال في القطط لأني لا أرى الكوابيس فيهم ونحو ذلك، بل في فترة ما كان لدينا كلب في البيت في سويسرا وكنت آخذه للمشي معه وما أشبه بدون خوف، كذلك قد أجلس في محضر كلب هادئ ولا أتزعزع بل لعلّي أطعمه الحلوى من يدي، لكن في المقابل تأتي عليّ فترات خوف وحذر شديد وأحياناً قفز وركض خفيف للبعد عن الكلب، فلمّا نظرت ولا زلت أنظر وأستعين بالله على هذا الأمر وجدت ذكرى قديمة لي وأنا صغير جداً في حلب حيث كنت أقف بجانب أحد أقاربي لا أذكره وهو يتكلّم مع شخص لديه كلب وكان طولي بطول الكلب تقريباً الذي كان ككلاب الحراسة ولا زلت أذكر الكلب واقفاً أمامي قريب منّي لكنه جامد ينظر في عيني ولا أدري لعل هذا الموقف زرع رعباً في نفسي بقيت آثاره إلى الآن لأني تجمّدت مكاني من الخوف إن صح وصفي لما أذكره، ثم وجدت أن خوفي من الكلاب له أساس معقول من حيث أنه حتى صاحبتي المحبة للكلاب قد عضّها كلبها في إليتها عضّة منكرة، وقد شهدت حين كنت في كندا بنفسي عدوان كلب صغير يبدو بريئاً حين كنّا في المصعد أنا وصاحبة الكلبين ورجلان لم يلتفتا حتى للكلبين من شدّة اعتيادهما على وجود الكلاب وأنا كنت متسمّراً في مكاني أرقبه وفجأة إذا بالكلب يقفز ويعضّ يد أحد الرجال وكان طويلاً ضخماً لعله إن دعس الكلب قد يصيبه بمصيبة إلا أن الكلب عضّه عضّة

سيئة من إصبعه، وكذلك لديّ ذكرى أخرى عن كلب كان لنا حين كنّا نعيش في الرياض حيث وُلدتُ فقد كان كلباً متوحشاً للحراسة وفي ذاكرتي أنه هاجم صديقاً لأبي هجوماً شرساً وعضّ يده وقطع شيئاً منها على ما أذكر وبغض النظر عن مدى دقة هذا الوصف واقعياً إلا أنه ما وجدته في ذاكرتي ولابد أن يكون له أصل، ثم الكلب الغريب الذي أجده في الشارع لا أدري مدى نظافته وحصوله على التطعيمات اللازمة ومدى جوعه أو شبعه ومدى برائته ومدى حسن رعاية صاحبه له بالتالي حذري من أن أُصاب بهجوم أو مرض بسبب عضّته وغرز أسنانه التي مهما قيل في براءة الكلب فلا يمكن أن تُقارن عضّة كلب بعضّة أو خربشة قطّة، فهذا ونحوه يجعل حذري من الكلب معقولاً أكثر منه مرضياً، وإن كان يجب أن أتجاوزه بإذن الله تعالى وهذا ما أسعى فيه.

إذن نعم، أنا لا أخشى ولا أتردد من الاعتراض بأوهامي المرضية أو المعقولة. وأما قضية السعي قدر إمكاني لإزالة الأنظمة الملكية والعسكرية من بلادنا في الحجاز وما حوله من البلدان، مع إبطال المؤسسات الدينية والتقاليد القهرية، فتوقع الإخراج والمطاردة والاضطهاد بل حتى القتل ليس غريباً بل هذه سنّة الظالمين من الأولين والآخرين، فالغريب ليس وقوع المطاردة والاضطهاد بل الغريب عدم وقوعهما، والغريب ليس تعليق رأس الحسين على خشبة بل الغريب بقاء رأس الحسين على جسمه. الواهم مَن يريد تغيير الواقع والتعامل معه بناء على الآمال الكاذبة والأحلام الساذجة، وقل عنّي ما تشاء إلا أنه في هذه المسألة تحديداً لا أرى أنه حتى غير المنصف لن يرى أن الواهم خصمي وليس شخصي.

بالأمس استمعت إلى وهابي يشتكي من سجن وهابي معروف آخر، والوهابي المُشتكي على وسائل التواصل يشتكي من سجن الدولة السعودية لشيخ من الوهابية لعقود من الزمن أيضاً بسبب خطبة دعا فيها إلى مقاطعة سياسية للدول التي تسخر من نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فحكمت عليه الدولة الوهابية بالسجن لذلك، فقال هذا الوهابي المشتكي الذي لم يعجبه انقلاب الطاولة ودوران الدوائر على الوهابية بسجنهم بعدما كانوا يسعون ويسكتون على سجن مخالفهم في الرأي والعقيدة والدين، قال هذا الوهابي غير المنصف ملاحظة من الممتع بل من بشائر الخير وصولها حتى إلى هذه الفئة المنحطة من الإسلاميين وهي أن الشيخ الوهابي المسجون لو كان قال تلك الخطبة في الدولة "الكافرة" التي دعا إلى مقاطعتها لما حكموا عليه بالسجن أو لما حكموا عليه بالسجن لكل هذه الفترة، واستغرب من واقع أمان المسلم في بلاد غير المسلمين أكثر من أمانه في بلاد المسلمين، وأنا أقول هنيئاً لك بهذا الفتح

لو عقلته وما أسعدك لو فهمته ولا أراك تفعل ذلك بسبب حجاب العصبية للعقيدة، لكن لو عقلته ستجد الحقيقة الناصعة وهي أن الدول التي تزعم أنها إسلامية ليست إلا طغياناً صريحاً، والدول التي يقال عنها كافرة هي الدول القائمة بقيم الإسلام لا أقلّ في هذه الجوانب الجوهرية ولا أقلّ أنها تقوم بها بنحو أفضل بل لا يُقارن أصلاً من علوه من الدول التي يحكمها الطغاة من المنتسبين للإسلام كانتساب مسيلمة وابن سلول له على أحسن الأحوال. حتى الوهابية في الجزيرة صاروا يذوقون مرارة عقيدة "طاعة ولي الأمر" التي هي عماد دينهم ومركز دعوتهم، بعدما ألقموها الناس لعقود خضوعاً لطاغيتهم السعودي صاروا الآن يعرفون بالكشف والتجلي والذوق والحق معنى ما كانوا يدعون إليه من قبل وشكواهم منها ما هي إلا كمثل شكوى أصحاب النار الذين قال الله فيهم "ولو رُدّوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون".

مقتل جمال خاشقجي رحمه الله كان الوسيلة الكبرى التي كشفت النقاب عن الوجه الخبيث للدولة السعودية عموماً والحديثة خصوصاً، كشفته لجميع الناس وليس فقط للمهتمّين بالشأن السياسي. جمال كشف قبح الدولة السعودية، ومقتله وما أحاط به من كذب وتدليس ودجل قد أطعم الناس الحقيقة السياسية لتلك الدولة بالملعقة التي وصلت إلى حلوقهم وجبرتهم على البلع إعلامياً (ومن اللطائف أن "خاشقجي" تعني صانع الملاعق بالتركية). من بعد هذا الاغتيال انتهت قيمة الدولة السعودية على المستوى العالمي والجماهيري، وما توالى بعد ذلك بل وظهور ما كان قبله وانقلاب الدولة نفسها على الجانب الثقافي (لا السياسي) للطائفة الوهابية هي نذر النهاية، لكن ككل وحش ينازع الموت ويصدر منه ما يصدر للحفاظ على آخر أنفاسه ستجده أشرس ما يكون في هذه المرحلة. ومن هنا نفهم سبب هذه الأحكام البالغة القسوة على أدنى إشارة من أدنى شخص مغمور يعارض بها الدولة السعودية، كالتي ذكرتها عن النساء والعجائز فضلاً عن الرجال من قبل. الوسوسة بلغت حدّها لأن الموت اقترب، وسنجد في الأيام المقبلة المزيد من هذه المظاهر على ما يبدو إلى أن نقرأ كلنا "فقُطع دابر القوم الذين ظلموا" فنقول "والحمد لله رب العالمين".

...-...

٦-{لا تبالي بالتخلي عن عائلتك وأصحابك ووطنك}

في هذا البند أمور لا أريد كشفها الآن لغرض سأبيّنه تفصيلاً إن شاء الله حين أكشفه ويحين وقته. لكن القدر الذي يصلح تبيينه الآن هو أنني لم أتخلّى عن "وطني" لكن "وطني" هو الذي

تخلّى عنّي. أنا لم أختر الغربة لأني غاوي مشاكل وعاشق آلام، بل اضطررت إليها اضطراراً فراراً بديني وتحريراً نفسي وقطعاً للعلائق بيني وبين أسباب القهر والخوف والكتم وابتعاداً عن تلويث نفسي بمعاشرة الأكثرية الخاضعة طوعاً أو استسلاماً للجبرية.

لكن نعم، أنا لم أتخلّى فقط عن أهلي وأصحابي ووطني بل تخلّيت عن نفسي أيضاً في الطريق وما تشتهيه وتفضّله من الأمور السهلة والقريبة المأخذ وحتى الآن وبعد الهجرة فعلت ذلك ولا زلت أفعله حتى هذه اللحظة بعون الله تعالى وسأشرح ذلك أكثر إن شاء الله لاحقاً. لا أقدّم شيئاً على أمر الله ولا على كرامة روحي، ولو كان في ذلك ما يكون ف"لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا". الاختيار أمامي واضح: اسكت أو هاجر. وأما أنا فلا أسكت ولو علّقوني على المشانق أنا وجميع آبائي إلى آدم وجميع ذريتي إلى يوم الدين وجميع أصحابي ومَن في الأرض جميعاً، وهذا ليس كلاماً إنشائياً وما قلته وأعلنته الآن وما أقوم به شاهد عملي عليه. إلا أني لست حماراً يلقي بنفسه في تهلكة طغاة السعودية بلا عقل ولا غاية، ولو كان الله يريد من النبي والمؤمنين الاقتحام في الهلكات لجعلهم كذلك في مكّة ولما أمرهم بالهجرة إلى المدينة. أنا مضحٍ بنفسي لكن بعقل، الهجرة تضحية وبعد الهجرة وأثنائها قد يحصل كما هو معلوم للكل اغتيالات من قبل الطاغين للمعارضين لهم والمتكلّمين بما يكرهونه ولا أقصد فقط الحكام السياسيين بل حتى الشيوخ الدجالين الذين يغرون كلابهم باغتيال مَن يكفّرونه. قد ذقت من الحياة وعرفت من أهلها ما يكفي لكي أعرف بأن تقديم أي شخص أو شيء على الله وكرامة الروح هو عمل عبثي ولا يأتي بالمرجو بل ينعكس عليك الحال وتخسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين.

التخلّي عن الناس والأرض سيحصل حتماً، بل يحصل كل يوم في النوم، وسيحصل أيضاً بالموت الذي قد يأتي في أية لحظة. وأنا رجل دفن أخاه الأصغر منه بيده بعدما قتلته مستشفيات السعودية مرّتين، فلا تستطيع هذه الدنيا أن تغرّني بالخوف من الفراق ولا بخدعة استمراريتها بسلام. القضية أولويات.

أما عن الأصحاب، فغالبيتهم العظمى والاستثناء يُعدّ على الأصابع، وحتى الذين كانوا يعرفونني منذ الصغر قد تخلّوا هم عنّي قبل أن أتخلّى أنا عنهم، وقد تخلّوا عنّي لا لشيء إلا لأني تعلّقت بدين الله وتكلّمت بأمور يعتبرونها خطراً سياسياً واخترت طريقاً واعياً للحياة بدلاً

من حياة التخدير والخوف واللهو الفارغ. وأما الصادق منهم فلم أتخلّى عنه ولم يتخلّى عنّي إلى الآن.

ولأحدّثكم شيئاً عن علاقاتي النسوية. أربع مرّات أردت الزواج الرسمي المشهور في تلك البلدة الظالم حكامها وأكثر أهلها. وأربع مرّات فشلت، بالرغم من أنه في الأربع مرّات كانت المرأة تحبّني أكثر حتى مما أحبّها أنا ولم يكن عليّ أي اعتراض من أي وجه شخصي ولا مالي يمنع الزواج ونجاحه. فما السبب في الفشل إذن؟ الجواب وهذا ليس تكهناً بل هو تصريح الناس أنفسهم الذي يتعلّق بهم الموضوع، السبب دائماً هو ديني وعقلي وكلامي. هذا بالرغم من أنه ولا واحد منهم عرف عمق ما أقوله ولا ما أدين به. الأولى ظنّت أني منكر لسنّة النبي وحسبت لذلك أني من الهالكين، ومَن يقرأ كتبي ويسمع مجالسي واستشهاداتي يعلم مدى بطلان مثل هذا الأمر. الثانية ظنّ والدها أني شيعي لا لشيء إلا لأني في مجلس واحد أحد اتهم فيه هو الشيعة جهلاً بأمر ما وجادل بالباطل فلم يسعني السكوت على عدم الإنصاف فقلت بألطف عبارة ممكنة ما يشير من طرف خفي إلا أن حجّته ضعيفة وبيّنت له حجّة الشيعة في المسألة التي ذكرها، وفي مرّة أخرى ذكرت له ربطاً بين آيتين من القرءان لكشف معنى ما وهو ربط قام به قبلي الشيخ الأكبر ابن عربي ولعل غيره فعل ذلك فارتاب من ديني (هذا مع العلم أنه يتعاطى الخمر كما نتعاطى نحن العصير وله آراء خرافية في الدين مثل أن يأجوج ومأجوج يعيشون في القطب الشمالي الجليدي ! وأنا صاحب الدين المريب !) هذا وقد دفع لي هذا الرجل مهراً، نعم دفع لي ولم أدفع له حتى أتزوج ابنته يبلغ ٤٠٠ ألف ريال علماً أن متوسط المهور للنساء في البلد لا يصل ٥٠ ألفاً، هذا فضلاً عن قوله لي بأنه كل ما يريده هو أن أستمتع أنا وابنته وسيتكفل هو بكل شيء وهذا لم يكن سبب قبولي الأمر طبعاً والسبب الحقيقي سأشرحه في موضع لاحق لكن ذكرت هذا هنا حتى تعرف مدى إقباله عليّ من كل وجه آخر. المرّة الثالثة كانت الفتاة تريدني وأمّها طلبتني وتوجد معرفة بين إخواني وإخوانها، فقبلت رؤيتها واجتمعنا لكن بعد ذلك من قريب رفض والدها (مدمن الخمر أيضاً! لا تسألني سرّ ذلك، إلا أني أخمّن لأنه محامي كما كان السابق أيضاً محامي والمحامي في السعودية إن لم يكن مدمن خمر ومصاب بأمراض عصبية فهو لم يمارس المحاماة بعد، إذ كيف ترى وجوه قضاة الوهابية كلاب النار ثم تبقى سليم الذهن والبدن) وحجّة والدها "عقله غريب" يشير إلى ما اشتهر عنّي مما تجدونه الآن في كتبي مما كنت أنشر أقلّ القليل منه في وسائل التواصل وبلغني أنه تكلّم مع قريب لي (قريب قرأ كل كتبي ويُظهر التودد لي) ونصحه بالابتعاد عنّي بسبب عقليتي وكلامي الحق يقال، قد أحسن النصيحة. المرّة الرابعة

أيضاً كان الخيار إما ديني وكتبي وإما الدنيا وأهلي، فاخترت ديني وكتبي. الأربعة النسوة الذين ذكرتهن طلبهن لي أشدّ بكثير من طلبي لهن، وهذا ظاهر لكل من شهد الأربع حالات، بل كان من حولي يلومني على "تنازلي" لمثل هذه الأشكال ولا زلت أُلام عليها بالمناسبة، لكن كانت لي أسباب ما وراء مجرّد الشهوة وما يقبله المحيط المباشر لي. فلا تنازلي نفعني، ولا ديني كان مقبولاً لهم ولا شكروا نعمة ولا استغلّوا فرصة. هذا لا يعني طبعاً أني "كامل مكمّل" بل لدي من الأمور والصفات ما يوجب صبراً كثيراً عليّ، والأمر بالميزان. المهم، أربع مرّات والعامل المشترك؟ إما خوف من الحكومة الطاغية، وإما إرادة حياة غفلة وجهالة وسطحية، والأول أكثر بل هو الأساس الفاصل في الحكم عليّ. هذا مثال على سبب التخلّي عن هذا الجانب من الحياة هناك. أريد أن أكون في بلاد لا يرتعب الناس فيها من حكومتهم بل الحكومة ترتعب منهم، وأريد أن أكون في حالة أعلن فيها عن نفسي وطريقتي في الحياة بحيث يعرفني مَن يلقاني مباشرة فإما تأتلف أرواحنا فنتّفق وإما تختلف فنفترق بسلام وسرعة وليس بناء على الخوف من أعراب بيدهم أسلحة. ضع في بالك أني لا ألوم ولا أحد من هؤلاء النسوة ولا أهاليهن، لأنهم كلهم ضحايا في تلك البلد، ضحايا وإن لم يعلموا ويشعروا، هذا أصل الأمر. وكذلك في كل الحالات كان كتمي لرأيي وإعلانه في المجتمع بصراحة سبباً للدخول في أمر ثم تبيّن شيء فينتهي بسبب البيان ولو كان حرفاً بل تشكيلة، إلا أني لا أُلام على عدم إعلان أمري من كل وجه مع أني أعلنت الكثير جداً في بلد وضعها كما تعلمون بل حتى ما كنت أعلنه وهو بالألوف كان يخاف من الاقتران معي الكثير من الناس بل معظمهم بسببه هذا وهو موزرن ومقبول بشكل عام حتى أني كنت أفترض داخل ذهني أن كلباً من المباحث يستمع لمجالسي المعلنة وسيقرأ كلامي ويسائلني عنه قبل أن أنطق به وهي حالة خبيثة كما ترى جعلتني أكره حتى الإكثار من الظهور والكلام والكتابة مع النشر إذ فيها تقسيم للعقل إلى كاتب مبين ومُراقِب لعين. لو جُعلت السلطة بيدي فإن أوّل ما سأبيده من على وجه الأرض هو وظائف الذين يراقبون كلام الناس ليحاسبوهم عليه بالعقوبات القهرية، وأسأل الله يوماً تحصل فيه هذه الإبادة.

فماذا عن وطائف كسب المعاش؟ تعالوا أحدّثكم. أيضاً أربع وظائف كلها أُوذيت فيها إما بظلم كفري وإما بسبب ديني وكلامي وطريقتي. أوّل وظيفة طُردت منها لأن المدير الجديد ظن أن المدير الذي قبله الذي عيّنني رئيساً لقسم الإدارة القانونية (نعم أوّل وظيفة لي هي مدير الإدارة القانونية في شركة عالمية فكنت أصغر مدير في دور المدراء والبقية أكبر منّي بضعف عمري، وكان هذا إظهاراً لقدرة الله وجواباً للذين قالوا لي "أول وظيفة تريدها هي أن تكون

مديراً" فجعلني الله مديراً رغم الأنوف وجاءتني الوظيفة لحد عندي بل ومع تكبّري قليلاً على عارضها عليّ) فظنّ المدير الجديد أنني موضوع لمراقبة عمله فخاف لأنه كان نصاباً فخان مضمون العقد ومنع الموظفين من إعطائي نسخة من العقد الذي لم أطلبه منهم من قبل ثقة منّي بهم فخانوا كل ذلك وطردني، فهذه خيانة عقد وثقة وظلم واضح وهو من الكفر في المعاملة وتقديم الهوى الشخصي على رزق الآخرين لكن لم يلبث إلا أشهراً قليلة حتى غلبتهم في المحكمة وأخذت تعويضاً كبيراً ثم جاءني وظيفة أحسن منها وأما ذاك الظالم فعاجله الله بشرّ عقوبة حيث طردوه من عمله بعد أشهر من طردي بل ورحّلوه من البلاد وجاءني الخبر لحدّ عندي بدون سعي مني، طبعاً التعويض الذي أخذته كان من الممكن أن آخذ أضعافه لكن موظف المحكمة العمالية ومحامي الخصم "المسلم السعودي" لم ينصحني وأنا لا أزال في منتصف العشرينيات بما عليّ فعله بل حتى بإخباري بالقانون ما هو فكتموا عنّي هذا العلم النافع ولننظر إلى ما سيلجمهم الله به يوم الدين جزاء على ذلك هذا مع علمهم بأني مظلوم ظلماً واضحاً وهذا من حسن نصرة المظلوم الذي تعلّموه في دينهم الخبيث. فهذه أول وظيفة. ثاني وظيفة كانت العداوة لي صريحة من جهتين، الأولى وبنصّ المدير الجديد الذي أيضاً لم يجدد لي عقدي بحجّة-وهذا نصّه الذي بلغني إياه من سمعه منه- "سلطان متزوج؟" قالوا " لا" فقال "جايبلي واحد صوفي!" يقصد أن المدير القديم قد جاب إلى المؤسسة واحد صوفي مثلي وهذا أمر منكر عند الوهابي الملعون، هذا مع أن هذا الخبيث حين واجهته بما أخبرني به مديري المباشر بأنه يريد فصلي أنكر ذلك واستنكره ولم يجرؤ على مواجهتي به وأخبرني أن هذه مجرد شائعات، ثم مديري المباشر الأعرابي الذي شهد منّي إنباء بالغيب حين أنبأه بأني أراه مديراً للإدارة بدلاً من المدير الحالي حين سافرنا إلى مصر للتحقيق في قضية (كنت محققاً في هذه الوظيفة) نسي ذلك ونسي جيرتنا وضحكنا لسنتين تقريباً معاً ومال إلى المنصب الجديد وأنكر كل شيء وطغى لكن مع ذلك لم يؤجله الله كثيراً وجاءني الخبر إلى حدّ عندي (وأنا داخل النادي رأيت زميلاً لي من تلك الوظيفة خارجاً وأخبرني الخبر) أن أهمّ محقق قد ترك الإدارة ثم انهالت التدقيقات والمحاسبات على المدير الأعرابي الخائن حتى سلبوه أهمّ سلطات الإدارة التي لم تزل لمدير هذه الإدارة لأكثر من ثلاثين سنة ثم كره العمل بسبب هذه الضغوطات فطلب التقاعد المبكّر وهذا بعد ما فعله معي بنحو سنتين تقريباً، علماً بأني حذّرته من ظلمي ومغبّة دعوتي عليه كما دعوت على المدير الأكبر للشؤون القانونية كلّها الذي أزعجني يوماً بشيء فدعوت عليه فعاجله الله بذلّة أمامي ثم بمصيبة في أهله ثم بالطرد القبيح من منصبه مع تهمة بالنصب وذلك في أقل من سنتين من ظلمه لي بكلمة أو للدقة بكلمتين ونبرة صوت سيئة لكن الأعرابي الكافر النعمة لم يتذكر ولم يتعظ. هذه الثانية. الوظيفة الثالثة كانت

ممتازة من حيث الراحة والأدب الجمّ لأهلها بسبب طبيعة العمل ذاتها لكن راتبها قليل جداً لا يكاد يصفو لي منه بعد دفع ديوني إلا أقلّ بكثير من راتب الخادمة التي في منزلي، فظلموا قيمة دراستي وما أستحقه بحجج شكلية فبخسوا حقّي، لكن كانوا أهل أدب وراحة في العمل وألّفت في السنة التي عملت فيها معهم ما لعله يبلغ خمسة عشر كتاباً. ثم الوظيفة الرابعة بدأت بظلمي المباشر والصريح في التقييم السنوي وحجّة الظلم كانت "أنت جديد" ولم ينظروا إلى العمل ذاته والذي قمت فيه وباعتراف كبارهم في ثلاثة أشهر فوق ما يمكن لشخص جديد أن يقوم به بمراحل كثيرة جداً بل هم لا يتوقعون شيئاً من الجديد أصلاً، ثم هددوني بأني إن لم أعمل بعد ساعات العمل الرسمية وبدون طلب أجرة مقابلها حسب نظام العمل (المجنون مَن يظنّ أن في هذه الدولة قانون) وطبعاً لأني كنت بحاجة للعمل سكت وتماشيت مع الأمر، ثم لأني-تفّ من لسانك-"سعودي" والإدارة بيد سعودي لكن الصفّ الذي تحته كلهم من الأجانب وهذه استراتجية معروفة حتى يحمي السعودي منصبه فإن تسليط هؤلاء علينا كان أمراً معتاداً وأنا لأني لا أستطيع أن أسكت كنت أتخاصم معهم كثيراً فكانت هذا ضغطاً نفسياً شديداً عليّ، ثم استقامت الأمور لفترة لأني كنت قصداً أتعامل معهم بأقلّ ما يستحقونه مما يتناسب مع الدرجة التي أعطوني إياها في التقييم السنوي ثم تعاملت بناء على أخلاقي وقيمي الشخصية فسرعان ما صاروا يروني أحسن موظف في الإدارة من درجتي وصار الثلاثة الذين فوقي يخبروني بأني سأترقى عاجلاً والطريق أمامي كان سالكاً لأصبح المدير الجديد إذ باقي الشباب في الإدارة لم يكن فيهم مَن ينافسني في هذا الباب، وأخذت أعلى تقييم ممكن في تلك السنة، فمع هذا التيسير والترقي جاء وقت الهجرة فخُيّرت بين البقاء في هذا الطريق المفتوح لمزيد من الترقي والمال وترك ما بيدي من أملاك وضمانات وتأمينات إلى الاعتماد على ما في يد الله فاخترت الثقة بما في يد الله وهاجرت إليه به.

هذه رؤوس أقلام مع شيء بسيط من التفصيل، ولو حكيت أكثر لتبيّن أكثر بأن العيش في تلك البلاد بسلام كان مرهوناً بأمرين، استمراء الظلم والكفر بالله. وأنا معدتي حساسة لا تهضم الظلم، ولن أكفر بربّي من أجل ملاعين الأعراب وجهلة العرب ولا لغيرهم. إذن أنا لم أتخلّى عن أحد يستحقّ التمسّك به، بل إما تخلّيت عن مَن تخلّى عنّي وإما تخلّيت عن ما لا يستحق ولا ينبغي التمسّك به وإما اضطررت إلى أمر وأنا مُكرَه.

...-...

٧-{ عندك انفجارات غضب غير مبررة }

أما انفجارات الغضب فحق، وهي نادرة لكنها موجودة فعلاً. أما كونها {غير مبررة} فهذا ما أرى أن فيه مبالغة، نعم قد أرى في بعض الحالات أني أغضب حين لا ينبغي الغضب أو أغضب بدرجة عالية بينما كان الغضب بدرجة أخفّ أولى، قد أقول هذا من وجه، لكن حتى في هذه الحالات لا توجد ولا مرّة منذ وضعني الله في هذا الطريق غضبت بلا مبرر مطلقاً أو غضبت ولم أبغض غضبي، أو غضبت ولم يهدأ غضبي بسرعة وفي ظرف ثواني وأحياناً دقائق وفي الحالات الصعبة جداً لساعات قليلة.

وجدت أني أغضب لأسباب:

منها الشعور بالعجز في أمر ينبغي عليّ القيام به في وهمي أو عقلي. هذا غضب غير مبرر. لأنه لو كان "ينبغي عليّ القيام به"، فلابد أن تكون معه القدرة إذ "لا يكلّف الله نفساً إلا وسعها". فغضبي هنا على إنسان آخر يكون عادةً لأني أريد دفع هذا الإنسان لمعاونتي على الأمر وسيكون له في خير أيضاً لكنه لا يراه هو الآن، فيكون انفعالي وسيلة لجعله يغيّر من سبب انفعالي ويعاونني عليه طلباً لمرضاتي. إلا أني أعلم بأن ردّة الفعل الأحسن للشعور بالعجز هي الدعاء وليس الغضب. هذا خطأ في نفسي وخلل في التعامل مع العجز مبني على نوع من الأنانية العمياء.

منها تحذير المغضوب عليه من افتراقي عنه. هذا غضب مبرر. عادتي مع الناس أني شديد الحلم والأناة لفترة طويلة ولا أحبّ حتى التعليق بالكلام على ما يقومون به مباشرة أو أحياناً حتى غير مباشرة وأعتمد على استشعارهم لما في نفسي فيتغيّرون وحدهم. فإن لم ينفع هذا تكلّمت بلطف وحاولت كثيراً. فإن لم ينفع كنت بين واحد من اثنين، إما أن أفترق عنهم وإما أن أحذّرهم تحذيراً أخيراً وهنا يأتي الغضب كمرحلة ما قبل الافتراق خصوصاً إن رأيت بأن الإنسان الذي سأفترق عنه سيشعر بالندم على هذا الفراق ولن أرجع بعد ذلك إليه فأنظر له وأغضب ليعرف أني بلغت حدّي الأخير قبل الافتراق، فإن وجدته لا يبالي بغضبي عدت إلى هدوئي وافترقت عنه وينتهي الأمر. في بعض الحالات قد أرى بأن هذا الغضب غير مبرر من حيث أن الذي يحتاج إلى غضبي ليعرف أنه دفعني إلى حدّي لعله لا يستحق صحبتي أصلاً. والذي لا يفهم كلامي ويحتاج إلى غضبي هو أقلّ من أن أكلّمه فضلاً عن أن أغضب عليه لأحذّره. لكن في بعض الحالات لا ينطبق هذا الأمر، بل يكون الغضب فعلاً وسيلة نافعة لتنبيهه فينتبه فيصلح الحال ولي مع ذلك تجارب مهمة بحمد الله. أحياناً يكون الافتراق مكلفاً نفسياً ومادياً وعائلياً واجتماعياً، فأسعى لمنعه بكل طريق فإن لم ينفع منها شيء غضبت كعذر أخير

حتى لا ألوم نفسي ولا يلومني مَن فارقته على عجلتي لأنه لم يرى كل ما قمت به قبل ذلك من وسائل تغيير ولم يعترف بها.

منها ردّ النار بالنار حتى لا أحرق نفسي وغيري من الأبرياء بنار جهول. هذا غضب مبرر. إذا آذاني إنسان بقول أو فعل أو حال، فإن الأذية تتحوّل إلى نار في نفسي، ولا أستطيع أن أكتمها وأبلعها فأشوش عقلي وأمرض بدني، وليس من العدل أن أنفّس عنها بغضب أو أذية تجاه بريئ لا علاقة له بالأمر كالذي يُغضبه رئيسه في العمل فيخنع ويرجع إلى أهله فيعنّفهم وإلى أولاده فيطغى عليهم فهذا أمر خبيث ولعين وظالم ولا أرتضيه. فلا يبقى إلا أن آخذ النار التي أشعلها فيّ الظالم الجهول وأردّها عليه حتى أشفي نفسي وأحمي غيري. هذا غضب عادل.

منها رسم خط أحمر ضروري. هذا غضب مبرر. خصوصاً في العلاقات التي يكثر فيها التواصل كالزواج والصحبة والزمالة في العمل والجيرة، هذا النوع من العلاقات لا يمكن قبول البقاء فيها بدون خطوط حمراء لحماية النفس وصفاء العقل. ليس لدي خطوط حمراء كثيرة، بل يمكن عدّها على إصبع واحد عادةً. فإذا لم يلتزمها الإنسان من نفسه واحتاج إلى كلامي ولم ينفع معه حتى كلامي فإني أغضب لأرسم الحد الذي لا ينبغي عليه تجاوزه. لكن مع صبر كثير وتحمّل طويل قبل ذلك، فإذا شعرت بأن الحياة صارت لا تطاق أو تشوش عقلي في الصلاة والكتابة فإني لا أتحمّل بعد ذلك وأغضب وليحصل ما يحصل، حتى أني في وظيفتي الأخيرة التي حكيتها في الفصل السابق غضبت على مديري ومديره ومديره ومديره ومديرته، وغيرهم، والمدير من الدرجة الرابعة فوقي في التسلسل هزأته وأقفلت السماعة في وجهه ثم جاءني معتذراً وكان جديداً في منصبه فلم يلبث أكثر من بضعة أسابيع حتى أهانه من فوقه فاستقال من منصبه، أما المديرة التي فوقه فإنها جاءت إليّ معتذرة إلى حدّ مكتبي وهي فوقي في التسلسل بخمس درجات وبدأت العمل في المهنة منذ كنت أنا في الحضانة أو الرضاعة ومع ذلك كان الحق معي، وأما مديري المباشر والذي فوقه فحدّث ولا حرج إلا أن كلاهما عرف خطّي الأحمر وصار يلزمه فاستقامت الأمور، وكذلك الذي فوقهما لمّا رأى ما فعلته مع الذي تحتهما وعرف أني لا أغضب بغير معنى وإن كان لامني مرّة على سرعة غضبي لكنه بعد ذلك صار يعرض عليّ المناصب ويمنّيني الأماني الواقعية إن أكملت معهم وهو الذي اقترح ترقيتي واعتبرني أهمّ موظف في الإدارة من غير الأجانب. فنعم، لي غضب وفورات لا تميّز بين عالي وسافل، لا في معيشة ولا في سياسة، وهذا بالمناسبة أحد أسباب "خوفي" من البقاء في البلد الظالم، ليس لأني أخاف فأسكت لكن لأني أخاف أن لا أسكت. في إحدى المرّات أيام الجامعة أخرجونا من الفصل لنملأ قاعة لأمير شاب جاء "يتفلسف" وأرادوا إشعاره بأن الجميع حضر

ليرى عقله المتوقد وحضر مدراء الكلية والأساتذة أيضاً، فبلعتها لكن قلت بأني سأتكلّم وأواجهه بمعارضة كلامه، وفعلاً لما جاء وقت الأسئلة نقدته لدرجة أن الأستاذة والمدراء في الصفّ الأول نظروا للخلف ليروا مَن هذا الذي سيطير رأسه في زعمهم، لكن كان من حسن أدب هذا الشاب الذي جاء من أمريكا من فترة وكان يعمل في قطاع التقنية فيها أنه أجاب على سؤالي باختصار ثم بعد المحاضرة قام واقترب من المدرج وناداني فنزلت وكلمني بأحسن خطاب ولطف وقال لي بأن أذهب معه لنتحدث وكان معي صاحبي المرعوب فذهبنا إلى غرفة كان الأمير يأمر وكيل الكلية (والد صاحبي الذي يعرف شيء من رأيي) وكانوا يخاطبونه ب"صاحب السمو" وأنا كنت أكلّمه كأنه صاحبي مع أنه أسنّ منّي بكثير (كنت حينها في أوائل العشرينات وهو على ما يبدو في وسط أو نهاية الثلاثينات أو أكبر) لكنه كان يأمرهم بالانتظار وهو وغيره ينظرون بغرابة لما يحدث وكان يحدّثني وقال لي بأن ما تراه الآن من تعصّب سيزول قريباً (كان سؤالي باختصار "كيف يمكن للدولة أن تتقدم والدولة تدعم فكراً واحداً فقط؟ " وأشرت إلى الوهابية في سياق الكلام، بعبارة أخرى أشرت إلى انغلاق الدولة وتعصبها لفريق واحد بينما هو كان يعد بالانفتاح والتقدم. هذا ما أذكره من السؤال لكن كان أكثر تفصيلاً وحدّة من هذه الصورة الباردة)، وأعطاني كرته وسألني التواصل معه إن شئت، وفعلاً قمنا وانتهى الأمر على خير، ولما نزلت من المدرج قبل الذهاب إلى غرفة الاستقبال وقف أمامي دكتور في الجماعة يبدو أنه حجازي وكبير في السنّ لعله في سنّ والدي أو أكبر وقال لي " شكراً" يشير إلى شكري لأني واجهت الأمير بهذه الطريقة وعبّرت عن القمع الذي تقوم به دولته. نعم، في هذه الحالات وغيرها لي فورة عصبية لا أتحمّل فيها لا صاحب سلطة ولا مركز ولا أبالي فيها لا بمعيشة ولا بعاقبة. إلا أن الله سلّم وحماني في تلك الفترة، لكن إذا حصلت المواجهة في أمر وشعرت بأنه يجب علي الخنوع والصمت فإن نفسي تنفجر غصباً عنّي ولا أستطيع العيش مع نفسي إن لم أفعل ذلك، وقد ضبطت نفسي مرّة حذراً من أمر مع صاحب لي وكان حوارنا علنياً ولا زلت نادماً على سكوتي ذاك وإن كنت قد قلت ما أردت قوله ونشرته الآن وكان الحوار في مسألة دينية وكان رأيي فيها متجاوزاً لخطوطهم الحمراء وكان هذا الصاحب خبيثاً من وجه لا أدري ماذا سيفعل بإجابتي فلم أخاطر بإعلان رأيي بعد إذ كنت في حالة الكهف وقرأت "إنهم إن يظهروا عليكم" وإن كنت قد صرّحت بنفس الرأي في مواضع من مجالسي وكتاباتي المعلنة لكن ليس بالصورة المباشرة الكاملة في موضع واحد. فما بين الغضب للحق والغضب لوضع خط أحمر والغضب أنفة من الخضوع، لي فورات عصبية معروفة ولا أرى بها بأساً فإن الغضب لم يُخلَق حتى نعدمه لكن حتى نستعمله في مواضعه. مثال آخر حين كنت محققاً، فإن انفجرت غاضباً خمس أو ستّ مرّات كلها باستثناء واحدة

كانت على مدرائي وفيهم الحبيب القريب الروح إليّ ولكنها كانت عن محبة ورسماً لخطّ أحمر من حيث أني كنت قاضياً ولم أكن مجرد محقق وكانت لنا سلطة خصم من رواتب الموظفين وهذا أمر عظيم عندي فكنت أرفض تدخّل أي أحد في التحقيقات التي لديّ ولو بإشارة كنوع من الواسطة لبعض أصحابهم فانفجرت أولاً على زميل لي لمجرّد أنه سأل عن قضية عندي لشخص يبدو أنه توسّل به إليّ فلم يعد لها وحدّث بها فلم يتدخّل أحد من زملائي بعد ذلك وبعدها انفجرت مرّتان على مديري وأحدها على على الأقلّ كان أمام مَن جاء يستشفع به إليّ فغضبت فلم يعد لها بل اعتذر بأنه هو المخطئ أنه سألني أمام ذلك الإنسان أيضاً وهو يعلم طبعي في هذا الأمر، ومرّتان على زميل أقدم منّي من الأعراب وهو حليف الأعرابي الذي حكيت لكم أنه صار مديراً ويبدو أنه كان يحتقرني أحياناً ويجلّني أحياناً لوجهين الله أعلم بهما لكن بعد أول غضبة كردة فعل على طريقة كلامه معي في قضية صار يخاطبني بالرسميات والتقدير وثاني غضبة كانت بعدما أصبح صاحبه مديراً للإدارة فكلّمني بطريقة جعلتني أضع الحقيبة من يدي وأشمّر عن يديّ كأني سأبدأ بضربه فخرج من المكتب كاتماً انفعاله فهو قال "أتكلّم كما أشاء" فقلت أنا أيضاً بأني سأعبّر كما أشار فشمّرت عن يديّ وكان هذا تصرفاً في ملكي ولم أعتدي عليه لكنه فهم الرسالة والحق أنني لو رددت عليه أنا كما أشاء بناء على مبدئه فإني سأجرحه بنحو سيحصل بيننا عدوان لأنه لا يملك لا مثل لساني ولا صبري فعلمت أن الوضع سيتطور إلى تكلّمت إلى عدوان فأردت أن أريه العاقبة مقدّماً لكنه أحسن إذ خرج، ومرّة غضبت على مديري الجديد الذي رآني مديره بشعر طويل فانتقدني فقلت له أن يوصل له إذ لم يواجهني بالكلام الذي يزعم فيه أن شعري الطويل يجعل هيئتي غير لائقة بموظف في هذه الإدارة فقلت له "قل له أن كرشته الكبيرة هذه هي التي تجعله غير لائق بهذه الإدارة" أو عبارة نحوها. بعبارة أخرى، غضبي هنا لوضع خطوط حمراء لا أسمح بتجاوزها في مكان أقضي فيه ثلث يومي. نعم قد أصبر على سفالة إنسان قابلته عرضاً أو في الشارع مثلاً ولعلي لا أراه بعدها أبداً لذلك لا أذكر أني غضبت مرّة في العقد الماضي كلّه من أجل زحمة سيارات أو قطع أحد بسيارته الطريق أمامي أو غير ذلك مما يجعل الكثير من الناس يغضبون بنحو منتظم ومتوقع، لكن قد يجعلني أغضب وبسرعة أمر في البيت أو العمل أو حتى صالون حلاقة أذهب إليه بانتظام كتدخين حلّاق داخل المحلّ لأني أرفض بعض الأمور وأرفض جعلها سنّة واقعة عليّ جبراً أو اضطراراً أو أرفض أن أغيّر من اختياراتي من أجل شخص سافل أو منحط لا يراعي وجود وشعور الآخرين. هذا الغضب نار قليلة مؤقتة للحماية من نار كثيرة وكبيرة ودائمة. فهو غضب معقول وبالتالي مبرر.

منها أني أغضب على مَن عاملته بالحسنى وأعطيته حين لم يسأل إن امتنع عن مقابلة المعاملة بالمثل وإعطائي إن سألته وأنا محتاج لأمر ما. هذا الغضب أحياناً يكون غير مبرر. يكون مبرراً إن غضبت لتنبيهه أني سأفارقه وأقاطعه لجحده سابق نعمتي ورفضه لمعونتي في وقت حاجتي ولو عدلاً لما سبق إليه منّي. لكن قد يكون غير مبرر حين أغضب كوسيلة لتحصيل أثر من إنسان بدون أن أكون اشترط عليه العوض على ما عاملته به. هو أمر محزن أي أن ترى مثل هذه المعاملة من إنسان عاملته كذلك، ولعل هذا الغضب غضب حزن أحياناً. إلا أن الأولى عدم الغضب هنا من حيث أنه ينبغي تقديم الخير بدون سؤال عوض، في حال كان الخير وهباً. هذا غضب ينبغي عليّ الكفّ عنه.

منها الانفعال أثناء مجادلة الخصوم في الأمور الدينية والسياسية. هذا غضب كثيراً ما يكون غير مبرر، لكنه قد يكون مبرراً. غير مبرر لأن الغضب في الكلام وإثارة العاطفة يؤدي إلى تشويش العقول وعدم فهمها لما يُلقى إليها. لكنه مبرر من وجوه. منها أن انفعالي قد لا يكون غضباً بقدر ما يكون حماساً، فيختلط على المتلقي. ومنها رؤية المسلمين يعرضون عن كتاب الله فأغضب كما غضب موسى حين وجد بني إسرائيل يعبدون العجل، ولست بخير من موسى ولا أصبر منه. ومنها إظهار أهمّية ما أقوله بالنسبة لي وبالتالي يشبه تكثيف الخطّ أثناء الكتابة ولبيان أنه من الأمور الكبيرة التي ينبغي الاعتناء بها. ومنها إظهار عيّنة بسيطة جداً من الغضب الإلهي الذي سيحلّ بمن يخالف ما غضبت أثناء بيان بطلانه وضلاله، كما أن "ليجدوا فيكم غلظة" أيضاً رحمة من حيث أنه إنباء عن غلظة "عليها ملائكة غلاظ شداد" يوم الدين، فيكون غضبي تجلي لذلك الغضب الأبدي لعلهم يرجعون. ومنها إظهار احتقاري للطاغين الذين يعظمهم الناس ولنزع الهيبة من صدورهم لهم، فيكون ذلك بتعنيفهم والسخرية منهم وغير ذلك من وسائل إظهار حقارة الحقير الذي يراه العميان كشيء خطير. ومنها إظهار حرية التعبير الجديدة المكتسبة بعد الهجرة. ومنها إظهار موقفي في اللامبالاة بالعواقب في التبليغ والمجادلة وهذا أمر قديم كان قبل الهجرة وزاد بعدها. إذن المانع الوحيد من تبرير هذا النوع من الغضب هو تشويش الخطاب بتثوير العاطفة العمياء في بعض المتلقين، لكن مَن يعرفني واعتاد على كلامي لا يجد ذلك عادةً في نفسه. بل قد أسعى إلى بثّ نار الرفض للباطل والظلم في مَن يسمعني بإظهار غضبي ليكتسبوه منّي بدلاً من نفسية الخنوع والجبن المنتشرة في الكثير من الناس. نحن الآن بحاجة إلى الغضب كما يحتاج الذي يعيش في القطب الشمالي إلى الماء الحار وإشعال النار.

منها أني أريد تبغيض الغضب إلى بعض الناس فأُظهر له درجات عالية منه ليراه ويبغضه. هذا غضب أحياناً مبرر. وهذا حدث معي مثلاً مع بعض علاقاتي بالنساء، فتكون

الواحدة بحكم تربيتها مع أب عصبي على الدوام، تشعر بأن ردة فعلها العصبية والغضب من أتفه الأمور أمراً عادياً، والحق أنه في مثل هذه العلاقات الحميمية والخاصة ينبغي تنقية الجو من الغضب كما ينقى الماء من النجس والرجس والقذر والكدر، فأقلّ درجة من الغضب تشوّه الجو وتخنق النفس، فإذا وجدتها لا تستجيب وتعتبر أن الغضب والعصب والتوتر عندها أمر معتاد ولنقل أنه بدرجة واحد فإنّي قد أغضب وأعصّب بدرجة خمسة حتى ترى بوضوح قبح هذا الشعور وأثره السيء على العلاقة، فتعرف بأن إثارة ما يثير غضبي مثل إثارتي ما يثير غضبها هو أمر قبيح وينبغي البعد عنه تماماً، وقد جرّبت هذا والحمد لله نجح مرّة، لكنه قد لا ينجح في مرّات أخرى وهذا مرّة أخرى أفضل من الفراق لأني أعتبر علاقة فيها عصب وغضب لا تستحق إقامتها ولا الحفاظ عليها أصلاً فإن النعمة غير الغضب كما نقرأ في الفاتحة وصحبة بلا نعمة شرّ وأفضل منها الخلوة وانتظار الفرج من ربّ النعمة.

...-...

*الخاتمة: النظر في النفس ينبغي أن يكون أمراً مستمراً، والسعي لتحسينها وتزكيتها عملاً دائماً. فما مضى ليس حكماً نهائياً لكنه سعي أوّلي وتجربة، وما بعدها إن شاء الله سيكون أعمق وأحسن إلا أنها بداية جيدة. أهمّ ما في الأمر أن لا نخشى من النظر في ما يقوله عنّا نقادنا ومنتقدو نفوسنا وتصرفاتنا، فلننظر ثم نرى رأينا، ونجرّب ونعيد النظر ونرى الأثر، وهكذا باستمرار. "أوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا".

....انتهى والحمد لله